RépubliqueAlgérienneDémocratiqueetPopulaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique

.....

Université Ain Témouchent Belhadj Bouchaib

.....

Facultés des Lettres et Langues et Science Sociales

.....

Département langue et lettre arabe

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

.....

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

.....

كلية الآداب واللغات والعلومالاجتماعية

.....

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر.

الشعبة:دراسات نقدية

التخصص: نقد حديث ومعاصر.

عنصرا الثورة والتحرر في الأدب الجزائري الحديث قراءة نقدية موضوعاتية في مسارات محمد رضا حوحو السردية نماذج بشرية أنموذجا

إعداد الطالبة: **إشراف الأستاذ**

صحراوي ملاك. **أ.د بوخاتم مولاي**

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
منقور عبد الجليل	أستاذ التعليم العالي	بلحاج بوشعيب عين تموشنت	رئيسا
بوخاتم مولاي علي	أستاذ التعليم العالي	بلحاج بوشعيب عين تموشنت	مشرفا
مصطفاوي جلال	أستاذ التعليم العالي	بلحاج بوشعيب عين تموشنت	ممتحنا

علي

السنة الجامعية:2026/2025

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de l'enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Belhadj Bouchaib - Ain Temouchent
Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social
Departement Lettre et Langues arab

الترخيص بإيداع مذكرة الماستر

أنا الممضي أسفله الأستاذ(ة) المشرف(ة)..... بوخاتم محمد أمين .....
على مذكرة التخرج في الماستر: الموسومة:
..... عناصر البنية والتحرر في الديوان الجزائري الحديث، قراءة نقدية .....
..... موضوعاتية في قصائد محمد رضا محمد السريع عاشور بتربة الجزائر .....

من إنجاز الطالب(ة): ..... صحراوي مولود .....
الميدان: اللغة والأدب العربي
الشعبة:..... دراسات نقدية .....
التخصص:..... نقد حديث ومعاصر .....
بعنوان السنة الجامعية: 2026/2025

أشهد أنّ الطالب(ة) قد قام(ت) برفع كل التحفظات المطلوبة من طرف لجنة المناقشة، وبإمكانه(ها) إيداع النسخة الإلكترونية المصححة على مستوى المستودع الرقمي لجامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب-

إمضاء المشرف

إمضاء رئيس اللجنة
أ.د. عبد الجليل منقور

حرر بعين تموشنت: 2026/6/24

تأشيرة رئيس القسم

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب ★ كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية ★
قسم اللغة و الأدب العربي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية
قسم اللغة والأدب العربي

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La Recherche Scientifique
Université Belhadj Bouchaib - Ain Témouchent
Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social
Departement Lettre et Langues arab

التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها)

أنا الممضي أسفله.

اسم ولقب الطالب(ة)	التخصص	رقم بطاقة التعريف الوطنية	تاريخ الاصدار
صحراوي مارية	نقد حديث ومعاصر	100314860101700000	2023/09/12

المسجل (ة) بكلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي، الشعبة: دراسات نقدية، التخصص: نقد حديث ومعاصر

والمكلف (ة) بإنجاز مذكرة ماستر، عنوانها:

مضمون الموت والحب في رواية (طريق الريح) لطاهر وطار نقدية موضوعاتية

في ضوء أحدث المناهج السردية مذكرة تخرج لنيل شهادة

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور أعلاه.

توقيع المعني (ة)

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والذي وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف بوخاتم مولاي مصطفى، على توجيهاته القيمة، وصبره، ودعمه المتواصل طوال فترة إنجاز هذا البحث، فكان لإرشاداته الأثر الكبير في إتمامه على أحسن وجه.

كما أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى جميع أساتذتي الأفاضل بقسم الادب العربي، الذين أفادوني بعلمهم ومعارفهم طوال مشواري الدراسي.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من مدّ لي يد العون والمساعدة، من قريب أو بعيد، وساهم بكلمة طيبة أو تشجيع صادق في إنجاز هذا العمل

وفي الأخير، أسأل الله أن يوفقنا جميعًا لما يحب ويرضى، وأن يجعل هذا العمل نافعًا ومثمرًا.

اهداء

إلى من أفضلها على نفسي ولم لا فلقد ضحت من أجلي، ولم تدخر جهداً في سبيل إسعادي على الدوام (أمي الحبيبة) .

نسير في دروب الحياة، ويبقى من يسيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه،صاحب الوجه الطيب والأفعال الحسنة، فلم يبخل علي طيلة حياته (والدي العزيز).

إلى أصدقائي وجميع من وقفوا بجواري وساعدوني بكل ما يملكون وفي أصعدة كثيرة .أقدم لكم هذا البحث وأتمنى أن يحوز على رضاكم..

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

يشكل الأدب الجزائري الحديث مرآة تعكس التحولات التاريخية والاجتماعية والسياسية التي مر بها المجتمع الجزائري، فقد ارتبطت نشأته وتطوره ارتباطا وثيقا بمسارات المقاومة الوطنية وببواعث الوعي التحرري في مواجهة الاستعمار. كما شكلت الثورة وقضية التحرر محورين أساسيين في النتاج الأدبي الجزائري، لكونها أثرت بشكل بالغ في تكوين البصيرة الفنية والفكرية لدى العديد من الأدباء، الذين سعوا إلى تجسيد معاناة الإنسان الجزائري وإبراز تطلعاته إلى الحرية والاستقلال واستعادة الهوية الوطنية.

ولعل من بين الأصوات الأدبية التي غنت المشهد السردي الجزائري، يبرز أحمد رضا حوحو كأحد رواد السرد الجزائري الحديث. ونجد أعماله قراءة نقدية تعكس للواقع الاجتماعي والسياسي، وتهتم بتصوير الإنسان الجزائري في أبعاده النفسية والوطنية والإنسانية. وتظهر هذه الاهتمامات من خلال النماذج البشرية في نصوصه، التي تحمل دلالات متعددة مرتبطة بقيم الثورة والتحرر ومقاومة الاستعمار، كما يبرز الصراعات الفكرية والاجتماعية التي سادت المجتمع الجزائري في تلك الفترة.

انطلاقا من ذلك، يهدف هذا البحث المعنون ب **عنصرا الثورة والتحرر في الأدب الجزائري الحديث: قراءة نقدية موضوعاتية في المسارات السردية لأحمد رضا حوحو– نماذج بشرية** إلى استقصاء تمثلات الثورة والتحرر داخل المتن السردي بدى أحمد رضا حوحو، والكشف عن الأبعاد الموضوعاتية التي شكلت رؤيته الأدبية. ويتم ذلك عبر تحليل النماذج البشرية الواردة في أعماله، ورصد علاقتها بالخطاب الوطني والتحرري، مع الوقوف عند الخصائص الفنية والفكرية التي ميزت تجربته السردية ضمن سياق الأدب الجزائري الحديث.

ومن بين أبرز الأسباب والدوافع لهذه الدراسة:

الأسباب الذاتية:

تتمثل في حبي لموضوع الثورة والاستعمار وما وقع في تاريخ الجزائر وميولي ورغبتي الملحة في البحث والتعمق فيه.

الأسباب الموضوعية:

توجيه الأستاذ المشرف لي وهو الذي حفزني لهذا الموضوع.

قلة الدراسات الفنية التي تناولت موضوع الثورة والتحرر عند أحمد رضا حوحو.

ومن بين الدراسات التي كانت قريبة على موضوعي:

حمزة بوزيد، إكرام بونوة: مذكرة تجليات الأدب التحرري في شعر الثورة –مفدي زكريا– انموذجا، إلا أن الاختلاف بين دراستي وهذه الدراسة يكمن في أن دراستي تمحورت حول مسارات أحمد رضا حوحو وهذه الدراسات جعلت من مفدي زكريا نموذج.

ومن هنا نطرح الاشكال التالي: فيما تتمثل ارهاصات الأدب التحرري في شعر الثورة وفيما تكمن تجليات الوعي القومي في الشعر الجزائري الحديث؟

وللجواب على هذه الاشكالية رسمنا خطة بحث لهذه الدراسة حيث جعلنا له مقدمة ثم الفصل الأول وتطرقنا فيه إلى تمهيد ثم عنصر الأدب حيث عرفناه لغة واصطلاحا ثم عنصر الثورة، بعدها علاقة الأدب بالثورة واهتمام الأدب التحرري بالثورة ثم بعدها الأبعاد الموضوعاتية في الأدب التحرري، ثم انتقلنا إلى الفصل الثاني والذي جعلنا له تمهيد و تطرقنا من خلاله إلى البعد الحضاري للثورة الجزائرية ومواجهة الاستعمار، ثم الشعر كأداة نضال وتوثيق في الثورة الجزائرية، بعدها تجليات الوعي الثوري في الشعر الجزائري الحديث وختمنا هذا الفصل بخلاصة عما تحدثنا فيه، وبعدها وصلنا إلى الفصل

الثالث والذي يعد دراسة تطبيقية حيث تطرقنا فيه إلى تمهيد ثم نبذة عن أحمد رضا حوحو أسلوبه ومؤلفاته، بعدها المسار الثضالي للأديب، عنصر الحرية، أنموذج الاصلاح والبناء، قراءة في قصة حمار الحكيم، ثم بعدها درسنا أنموذج غادة (أم القرى) التعريف بالكتاب وأسلوب الكاتب فيه وعنصر الثورة في الكتاب، ثم بعدها النزوع إلى الحرية وجعلنا لهذا الفصل في الأخير خلاصة، ثم بعد الفصل الثالث وضعنا خاتمة تلخص أهم النتائج التي استخلصناها من هذه الدراسة ثم قائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي.

ومن أبرز المصادر التي اعتمدنا عليها لاجراء هذه الدراسة نجد كتاب تطور البنية في القصة الجزائرية المعاصرة لشريبط أحمد شريبط، و أيضا كتاب مقدمة نفوس ثائرة لعبد الله الركيبي، وكتاب الأدب الجزائري وملحمة الثورة لبلقاسم بن عبد الله.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا خلال هذه الدراسة قلة المصادر والمراجع التي تتناول موضوع الثورة والتحرر في الأدب الجزائري الحديث خاصة. فيما يتعلق بالدراسات النقدية الموضوعاتية حول المسارات السردية لأحمد رضا حوحو، إلا أنه رغم هذه الصعةبات قد ساهمت في تعزيز قدراتي.

وبهذا نسأل الله أن نكون قد وفقنا في هذه الدراسة، ونسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

صحراوي ملاك

بني صاف– عين تيموشنت

2026/05/25

الفصل الأول : ارهاصات الشعر التحرري في شعر الثورة.

تمهيد

الادب لغة و اصطلاحا

الثورة لغة و اصطلاحا

علاقة الأدب بالثورة

محاور اهتمام الأدب التحرري بالثورة

المرتكزات الموضوعاتية للأدب التحرري

خلاصة

تمهيد:

تُعد الثورة ظاهرة اجتماعية وسياسية عظيمة تحمل في طياتها تغييرات جذرية في مجرى حياة الشعوب، ولا تقتصر آثارها على الجانب السياسي فقط، بل تتعداه لتؤثر في الثقافة والأدب والفكر. وفي هذا السياق، لم يكن الأدب الجزائري بعيدا عن الثورة، بل كان مرآةً صادقة تعكس هموم المجتمع وآماله وتضحياته في سبيل الحرية والاستقلال. لقد تجلى ذلك من خلال ما كتبه الشعراء والكتاب من نصوص أدبية تناولت الثورة بمختلف أشكالها: الشعر، القصة، الرواية، والمسرح، لتكون بذلك أداة فكرية وفنية توثق الأحداث وتبرز القيم الوطنية والقومية والدينية والاجتماعية التي استلهمتها الثورة.

وسيتناول هذا الفصل التعريف اللغوي والاصطلاحي للثورة، وعلاقة الأدب بها، وبيان المجالات التي اهتم بها الأدب الثوري، مع استعراض الأبعاد الموضوعاتية التي تجلت فيها، ليتضح الدور الحيوي الذي لعبه الأدب في التعبير عن حركة النضال الوطني وصياغة الوعي الجماعي للشعب الجزائري في سياق ثورته التحريرية.

I. الأدب والثورة / الماهية:

1. الأدب :

الأدب لغة:

اختلفت التعريفات اللغوية لمفهوم الأدب بين المعاجم المختلفة، حيث نجد أن معجم لسان العرب لابن منظور يوضح أن لفظة الأدب تُشير إلى ما يتأدب به الشخص المثقف أو الأديب من الناس.: سمي أدباً لأنه يُأدب الناس إلى المحامد و ينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس مُدعاه و مأدبة. " [1]

يمكن أن نستنتج أن مفهوم الأدب في المعاجم العربية، كما عند ابن منظور في لسان العرب، يرتبط أساسًا بالتهذيب والدعوة إلى الأخلاق الحسنة. فالأدب لا يقتصر على الكتابة أو الشعر فقط، بل يدل في أصله على تربية الإنسان وتوجيهه نحو المحامد والابتعاد عن المقابح، مما يبرز طابعه الأخلاقي والتربوي في الثقافة العربية القديمة.

ورد كذلك في لسان ابن منظور : " وقد يتضمن الأدب معنى الظرف و حسن تناول الأمور، و أدبه: علمه فتأدب: و الأدب بالفتح العجب، و أدب البحر كثرة مائه."[2]

يتبين لنا من هذا القول أن الأدب يأخذ بأمور جيّدة و أساليب حسنة، حيث اختلف اين منظور و ابن فارس في التعريف اللغوي للأدب، ابن فارس نسب كلمة أدب إلى مأدبة أي وليمة لتجمع الناس، أما ابن منظور فصاغها لمفهوم يأخذ محسن تناول الأمور بجدية.

---

[1]-ينظر، جمال الدين بن مكرم 74هـ، لسان العرب، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، لبنان، بيروت، ط1، 2003م، ص207.

[2]- ابن المنظور ، لسان العرب ، ص208.

وجاءت لفظة الأدب في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس : " الأدب أن تجمع الناس إلى طعامك.1

وعموماً هذا الاختلاف يرد في اللغة حتماً بين كل أهل اللغة و لا يمكن الاتفاق على معنى واحد، لكن يقع ذلك في المفهوم الاصطلاحي؟ تلك هي غايتنا في العنصر الموالي.

من خلال هذا يتبين لنا أن الاختلاف بين ابن منظور في لسان العرب وابن فارس في معجم مقاييس اللغة يعكس ثراء الدلالة اللغوية لكلمة "الأدب". فبينما ربطه ابن فارس بمعنى المأدبة وجمع الناس، وسّع ابن منظور دلالته لتشمل حسن التناول والتهذيب والظرف. وهذا يبيّن أن التعدد في المعنى أمر طبيعي في المستوى اللغوي، مما يدفعنا للبحث في مدى استقرار المفهوم حين ينتقل إلى المجال الاصطلاحي

الأدب اصطلاحا :

لا شك بأن كلمة "أدب" من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية و انتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة و الحضارة، و قد اختلف عليها معاني متقاربة حتى أخذت معناها الذي يتبادر إلى أذهاننا اليوم: " وهو الكلام الإنشائي البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء كان شعراً أو نقرأ وهو أدق معانيه: الصياغة الفنية للتجربة الإنسانية."2

يمكن القول ببساطة إن كلمة "أدب" تطوّر معناها مع تطوّر حياة العرب، حتى استقرّ في مفهومه الحديث على أنه تعبير فني بليغ يصوغ التجربة الإنسانية ويؤثر في مشاعر القارئ أو السامع، سواء أكان شعرًا أم نثرًا.

[1]- أحمد بن فارسين زكريا القزويني الرازي أبو الحسين المتولي في 295هـ، سجم مقياس الله، اتفق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، د ط ، 1399هـ/ 1979، عدد الأجزاء6، ص 241.

[2]-ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف ، ط2 ، دت ، ص10.

وورد في تعريف آخر للأدب :" فهو علم يشمل فن الكتابة و يعني بالآثار الخطية النثرية والشعرية المعبر عن حالة المجتمع البشري و المبين بالدقة و الأمانة عن العواطف التي تعتمل في نفوس الشعب أو جيل من الناس. "[1]

و عرف الأدب بمفهوم آخر :" هو الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى محامد و ينهاهم من المقابح. "[2]

يتوضح لنا أن الأدب يجمع بين جانبين أساسيين: فهو من جهة فنّ تعبيري يصوّر حياة المجتمع ومشاعر أفراده بصدق، ومن جهة أخرى وسيلة تهذيب وتوجيه تدعو إلى المحامد وتنهى عن المقابح، مما يبرز قيمته الفنية والأخلاقية معًا.

2. تعريف الثورة:

حظيت الثورة بالعديد من التعريفات التي تباينت وفقًا لمقاصد مجالاتها المختلفة، سواء كانت فلسفية أو طبيعية أو سياسية أو تحررية أو دينية أو اجتماعية أو ثقافية. ويمكن العثور على تعريفها في اللغة كما ورد في كتاب لسان العرب لابن منظور. ما يلي ثار الشيء نورا و ثؤورا و ثورانا و تثور : هاج (...) و نور الغضب حدثه ، و الثائر : الغضبان ، و يقال للغضبان أفيخ ما يكون قد ثار ثائره ، و ، و فار و فائره ، إذا غضب و هاج عضبه (...) و يقال انتظر حتى تسكن هذه الثورة، و هي الهيج [3] .

يمكن أن نستنتج ن لفظة "الثورة" في معناها اللغوي، كما وردت عند ابن منظور في لسان العرب، تدلّ على الهيجان والاندفاع والغضب الشديد. فهي تعبر عن حركة قوية مفاجئة تخرج عن السكون،

[1]- جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1984م ، ص315-316.
[2]-أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة الإعتماد ، القاهرة ، ط3 ، 1946م ، ص14.
[3]-ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، د ت ، ط 1، (مادة ، ثورة) ص 53.

سواء أكانت في المشاعر أم في الواقع، وهو ما يفسّر استعمالها لاحقًا للدلالة على التحولات الكبرى في مختلف المجالات.

و الثورة في مفهومها الاصطلاحي هي : فعل التغيير الشامل, أو هي بتعبير أدق * أقصى مراحل الرفض للسلبيات (*)

ذا كان التمرد يعتبر حركة بلا أثر فعلي في الواقع، ويمثل احتجاجًا غامضًا لا يحتوي على نظام أو مذهب محدد، فإن الثورة تُعد محاولة لتوجيه العمل وفقًا لفكرة تهدف إلى تشكيل العالم ضمن إطار نظري معين. ومنه فان لثورة تمثل فعلًا إنسانيًا جوهريًا يهدف إلى إحداث تغيير شامل وتطهير جذري، إنها بمثابة الزلزال الذي يعيد تشكيل ملامح الأرض، ويهز الأعماق، ويغير الخرائط، ويبدل المجتمعات والأفكار .تصبح الثورة الخيار الأوحد والحل الأمثل لتحقيق التغيير المنشود .هذه الحقيقة لم تقتصر على مجال دون آخر؛ فهي تمتد للتجارة، والتعليم، والعبادة، وحتى إلى التقاليد والأنظمة السائدة .ومن خلال هذه الثورات، تتجدد الحياة باستمرار، يومًا تلو الآخر، وجيلاً بعد جيل.[1]

و نفهم من تعريف ميخائيل نعيمة أن أي تغيير يقوم به الإنسان هو ثورة و لهذا نجد أن أرسطو حاول أن يفسر الثورة تفسيرا موضوعيا و ردها إلى نوعين : ثورة تنشد المساواة و أخرى تنادي بعدم المساواة[2] و منها فمظاهر الثورة يمكن إجمالها في مقطع شعري لعبد المعطي حجازي من قصيدته الشهيرة (الأوراس)

ثورة ... ثورة

ما أعظمه يوم الثورة

تهتز الأعماق الحرة

[1]-ميخائيل نعيمة ، دروب ، دار صادر بيروت ، 5 ، 1968 ، ص 24-25.

[2]- إعداد نخبة من الأساتذة، معجم العلوم الاجتماعية سادة الثورة الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1975 ، ص 205.

(.....) تهوي مدن ، بهمي مطر ، تنمو زهره [1]

إنها باختصار " البوتقة التي تنصهر خلالها الروح و يتطهر في أتونها الوجدان و يتبلور بدمائها الفكر [2] و الثورة بهذه المعاني جزء لا يتجزأ من السياسة فهي وجهها الآخر ، و غالبا ما تكون ثورة السلاح نتيجة منطقية و متوقعة للتعفن السياسي الذي يلقي بظلاله السوداء على كل نواحي الحياة الإنسانية و الاقتصادية و الاجتماعي و الثقافية و حينئذ تصبح الثورة السبيل الأوحد ، و الحل الأمثل لتحقيق التغيير ، و قد باتت هذهالحقيقة من المسلمات منذ أطلق كلاور فيتر مقولته الشهيرة " بأن الحرب لبست استمرار السياسة ولكن وسائل أخرى هي وسائل العنف والإكراه) [3]

و الواقع أن الأدب أحد وسائل الثورة ، و أكثرها فاعلية ، مادام يلتقي معها في الغاية ، و إذا كان هدفه) تغيير الحياة)كما يعبر رامبو ، فإن آية ثورة لا تقوم إلا لذات السبب و إن اختلفت الوسائل وتباينت الأساليب.

و قد يغدو الأدب مشعل الثورة و ملهمها ، و أهم وسائلها للتغيير فما " ثورة السياسة في آخر الأمر إلا استجابة لثورة العقول والقلوب و النفوس التي يحدثها الأدب وتحدثها مع الأدب ثورات أخرى ... و لست أعرف ثورة سياسية بالمعنى الحديث أو القديم للفظ الثورة إلا وقد سبقتها ثورة أدبية عقلية كانت هي التي أعرت الناس بها، ودفعتهم إليها ، و أخرجتهم عن أطوارهم ، فلم يستطيعوا صبرا على ما يكرهون و لا إبطاء عما يريدون [4]و منها نعرف أن علاقة الأدب بالثورة و العكس علاقة أزلية أنهما ترافقا منذ القدم لتحقيق التغيير و إرساء قواعد الحربية و العدالة و المساواة.

---

[1] ديوان أحمد .عبد المعطي حجازي. دار العودة، بيروت، ط3، 1982 ، ص 401

[2] -هاني شكري ، أدب المقاومة ، دار المعارف ، مصر 1970، ص 144

[3] -بسام العملي، عبد الحميد بن باديس ، و بناء قاعدة الثورة الجزائرية دار النفائس بيروت ، طرح ، 1989 ، ص5.

[4] -طه حسين ،، النقد ، دار العلم للملايين بيروت 1985، ط1، ص ص 157-158

يمكن القول باختصار إن الأدب والثورة يسيران معًا؛ فكل ثورة تبدأ بفكرة، وكل فكرة يوقظها الأدب في العقول والقلوب. لذلك فالأدب يعدّ وسيلة أساسية في إحداث التغيير وتمهيد الطريق للثورة.3

3. علاقة الأدب بالثورة:

إن الأدب لم يكن يومًا معزولًا عن واقع الإنسان، بل ظلّ مرتبطًا بقضاياه وتحولاته الكبرى. فكلما شهد المجتمع اضطرابًا أو سعيًا نحو التغيير، كان الأدب حاضرًا يعبر عن آلامه وآماله، ويكشف أسبابه ويدعو إلى تجاوزه. ومن هنا نشأت علاقة وثيقة بين الأدب والثورة، قوامها التأثير المتبادل؛ إذ يمهّد الأدب للثورة بإيقاظ الوعي، وتجد الثورة في الأدب صوتها المعبر ومرآتها الصادقة.هذا ما سنتحدث عنه في هذا المبحث .

ظل الأدب الجزائري دائمًا متأثرًا بالثورة التي شهدتها البلاد، وكان مرتبطًا بها ارتباطًا وثيقًا. فقد عبّر الشعراء والكتّاب عن مبادئ الثورة التحريرية، خاصة ثورة أول نوفمبر، التي شكّلت الانطلاقة الحقيقية للكفاح الجزائري. وقد انعكست هذه القيم الثورية في قصائدهم، فكان الأدب صوتًا للجزائر، ينقل تضحياتها وآمالها، ويخلّد روح الثورة لتبقى حاضرة في ذاكرة الأجيال.، وكل هذا راجع لمعرفة الروح الوطنية وبث الثورة الجزائرية عنان المجتمع، فحضور الأدب الثوري في المدونات هو ما جعل الشعراء ينمون عن مبادئها واستحضارها في أشعارهم بمظاهر مختلفة حيث استحضروا فيها البعد الجمالي والسياسي والقومي والاجتماعي والإسلامي والتاريخي، وكلها مكونات حركت أشعارهم بإعطاء نظرة استشرافية للثورة الجزائرية، حيث "اهتزت أقلامهم وصورت انتصارات الثورة وبشرت بالاستقلال وتغنت بالحرية والوطن".1

[1]– سليماني حنان، الثورة في الأدب الجزائري الحديث، الشعر أنموذجا، دراسة موضوعاتية فنية أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، تخصص الأدب الجزائري، كلية الآداب واللغات، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018/2019، الجزائر، ص22.

ويظهر ذلك بوضوح في احتفاء الشعراء بالثورة الجزائرية وفي أدب الثورة عمومًا، مما دفع الأدباء إلى تطوير المفاهيم والأساليب الأدبية التي تعبّر عن روح الثورة وتتناول كل ما يتعلق بها. وهذا ما نجده في كتبهم، حيث جعلوها إيديولوجية تواكب العصر "في بعدها النضالي أو في العمل المسلح باعتبارها مرجعا تاريخيا، أو قلعة من قلاع المقاومة والتحرر في أبعادها العالمية والإنسانية"[1]

إذن تظل الثورة الجزائرية رمزًا قوميًا يحرك وعي الشعب ويبرز مدى مقاومته المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي، ويجدر بالذكر أن الأدب الجزائري سبق في التعبير عن هذه الثورة، حيث كتب الشعراء والأدباء القدماء والمحدثون عنها وخلدوها في أعمالهم، فكانت مرجعًا يبرز الروح الوطنية للأجيال السابقة، وتستمر في إلهام القراء عربياً وعالمياً حتى اليوم.، إذ تعدّ" وثيقة أول نوفمبر في نظر الشعراء الجزائريين من أعظم الوثبات المخلدّة لأروع ملحمة بطولية سجّلها الشعب الجزائري في القرن العشرين، حين هبّ كرجل واحد لإنقاض الوطن من براثن الاستعمار وشروره".[2]

وعليه، فقد عبّر الشعراء الجزائريون عن الثورة المجيدة في أشعارهم، مجسدين أحداثها التاريخية ورافعين راية الروح الوطنية. كما ساهم الشعر الجزائري إبان الثورة التحريرية في دعم القضية وبث قيمها، ما جعل هذه المقومات الثورية تشكل حركة كبرى وملهمة في نظر الشعراء بشكل خاص.، مما جعلها تحظى بأحداث تاريخية ولدت مواطن الأدب الثوري حيث كان اندلاع الثورة المسلحة في ذلك الوقت بالذات ضرورة فرضتها الأحداث وسياسة الاستعمار العقيمة إذ أصبح الوطنيون يأمنون أن لا طريق لنيل الحرية إلا طريق الثورة والعنف"،[3] وهذا دليل كاف على بيان مواطن الزعامة والرجولة وبث الروح

[1]- -كبريت علي، أدب الثورة الجزائرية أطروحة في المنهج ومقاربة في المحتوى، مجلة المصادر، المجلد 16، العدد29 ،2017/06/30، ص127.

[2]- -أوريدة عبود، ثورة نوفمبر المجيدة وبعدها الإنساني في شعر صالح خرفي، مجلة رفوف، مج06، ع02، جامعة أحمد دراية،أدرار، ديسمبر 2018 ، ص105-106.

[3]- **. يحي شيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة تحليلية دار البحث للطباعة والنشر ،الجزائر، ط1، 1987، ص27.**

الوطنية وقهر الاستعمار، إذن يبقى "أدب الثورة الجزائرية المعطى مهم وعظيم عظمة الثورة التحريرية إذ المحتوى الفني والموضوعاتي يحتميان على الباحث أن يقاربهما مقاربة خاصة ترصد الأبعاد النهضوية والفكرية والايدولوجية لها، كما يحيل هذا الموضوع إلى خصوصية منهج هذه المقاربة الخاصة، فكلا من المحتوى والمنهج يستلهمان خصوصيتهما من خصوصية وتميز الثورة التحريرية الجزائرية التي أعظم ثورة شعبية مسلحة ضد الاستعمار في العصر الحديث [1]

والثورة بهذه المعاني جزء لا يتجزأ من السياسة فهي وجهها الآخر، وغالبا ما تكون ثورة السلاح نتيجة منطقية ومتوقعة للتعفن السياسي الذي يلقى بظلاله السوداء على كل نواحي الحياة الانسانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحينئذ تصبح الثورة السبيل الأوحد، والحل الأمثل لتحقيق التغيير، وقد باتت هذه الحقيقة من المسلمات منذ أطلق كلاور فيمر مقولته الشهير: "بأن الحرب ليست استمرار السياسة ولكن وسائل أخرى، هي وسائل العنف والإكراه". [2]

يمكن أن نستنتج ببساطة أن الأدب الجزائري كان جزءًا فاعلًا من الثورة التحريرية، إذ عبّر الشعراء والأدباء عن قيمها ومبادئها، وجسّدوا روحها الوطنية والتاريخية في أشعارهم وكتاباتهم. لقد شكّل هذا الأدب صوتًا يخلّد تضحيات الشعب، ويحفّز الوعي الوطني، ويبرز المقاومة ضد الاستعمار، كما أنه ساهم في ترسيخ الثورة في ذاكرة الأجيال، وجعلها مرجعًا ثقافيًا وفكريًا عربيًا وعالميًا، مؤكّدًا أنّ أدب الثورة وثيق الصلة بالسياسة، وجزء أساسي من حركة التحرر والتغيير الاجتماعي.

فالعلاقة بين الأدب والثورة تتسم بترابط وثيق، حيث يُعتبر الأدب أحد الوسائل التعبيرية التي تحمل في طياتها روح الثورة وأساليبها .هذا ما لمسه العديد من الشعراء والأدباء في أعمالهم، حيث كان الأدب دائماً شعلة للثوار ومصدر إلهام لهم، وأداة رئيسية للتغيير الاجتماعي والسياسي .فما يحدث في

[1]-كبريت علي، أدب الثورة الجزائرية أطروحة في المنهج ومقاربة في المحتوى، ص123.

[2]- حمزة بوزيد – اكرام بونوة ، تجليات الأدب التحرري في شعر الثورة مفدي زكرياء أنموذجا ، مذكرة لنسل شهادة ماستر ، جامعة ابن خلدون تيارت ، 2022-2023 ، ص08.

السياسة من تحولات وثورات ليس إلا انعكاسًا لثورة الفكر والمشاعر والنفوس التي يُحدثها الأدب، والتي بدورها تجذب العقول وتنير الطريق نحو التطور .الثورة الأدبية كثيرًا ما سبقت غيرها من الثورات، سواء بمعناها الحديث أو التقليدي، حيث كانت الممهد الأول لتحريك الأفراد ودفعهم نحو تغيير واقعهم، والخروج عن صمتهم وعدم تقبل الأمور المفروضة عليهم .من هنا يُفهم أن العلاقة بين الأدب والثورة ليست مجرد ارتباط عابر، بل هي علاقة راسخة أزلية، تسير في انسجام منذ القدم لتحقيق أهداف سامية مثل الحرية والعدالة والمساواة.

إنّ علاقة الأدب الجزائري بالثورة التحريرية لم يعد شيئا يحتاج إلى تأكيد، كون هذه العلاقة كانت ولا تزال حميمية فالكاتب الجزائري هذا الممتزج بالأرض روحا ودما قد سخر قلمه لينفث من ذاته أجمل ما تقوله الكلمة اعترافا لهذا الوطن بجميله وخير ما نستهل به " الأمير عبد القادر المعسكري الذي دافع عن هذه الأمة تعجب اقلاماً استطاعت أن بالنفس والقلم والفكر والملاح. هذا الرجل الصنديد الذي وهب حياته من أجل قضية أمن بها فعبر عنها شعرا ونثرا. فأما عن شعره فتمثله في ديوان نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر " هذا الأخير الذي نشر سنة 1903 بالقاهرة بالمقابل تجسد نثره في رسالة بعنوان " ذكرى العاقل وتنبيه الغافل " و" المقراض الحاد القطع لسان الطاعن في الدين الإسلام من أهل الباطل والالحاد " ومن هنا يمكننا التسليم أن هذا الفارس المقاتل أوجد لنفسه هبة القائد المغوار الذي يتبعه الناس بقناعة ومن دون تردد في خوض الحروب ومحاربة الاستعمار ليست السبيل الوحيد للنيل من هذا الظالم الدخيل، بل لا بد من وجود أمر آخريلبي الحماس.... فكان القلم الذي أحسن استخدامه"،[1] وهذا دليل كاف على أن الأمير عبد القادر باعث الثورة الجزائرية وبطلها الحق في إبراز الرموز الوطنية والدفاع عنها إما بالسلاح أو القوة أوالكلمة، وهي ما راجت في كتبهم وأشعارهم وسلطت الضوء عل العالم العربي والعالمي وبالتالي تبقى الثورة حركة راجت بالأدب إلى أبعد مكان، إذن فالثورة هي بالنسبة للمسيطر نوع الزندقة والارتداد والجحود لحالة أصبحت عامة

[1]–سعدوني نادية، ، دور الأدب في تأجيج الثورة الجزائرية نماذج مختارة المركز الجامعي عبد الله ،مرسلي تيبازة، الجزائر، مجلة الآداب واللغات والعلوم الانسانية مجلد 04، العدد 09، سبتمبر 2021 ، ص239-240.

ومستكينة بفعل الزمن1، وكل هاته الروافد حملت لواء الثورة الجزائرية وبقاءها مرسخة في أذهانهم، فكتبوا أعظم ثورات رسمت لهم صفوة عربية، وهذا ما نجده عند الكثير من الشعراء الذين خلدوا الثورة الجزائرية كأمثال مفدي زكريا وجميلة بوحيرد والأمير عبد القادر وغيرهم من الثوار.

هناك من يرى أن أدب الثَّورة هو الذي يعايش الشعراء والأدباء، وهذه المعاشرة ما أطلقت عنان الكلمات والقلم والجمالية داخل نصوصهم، وهذا دليل على ابراز مكانة الصورة الجزائرية وعظمها وواقعها فجعلت تقريبا – يغوصون بأقلامهم دما ولهيبا وهذا ما يعرف بقضية الالتزام وهو أن يلتزم الشاعر أو الكاتب بقضايا وطنه.2

وما يكاد يغلب على ان مواكبة الأدب بشكله العام في مسايرة الأشعار ومدى رصد الأحداث فيها، إنما هو إبداع فنّي ذاتي يحرك دينامية الأدب الثوري بشتى مراتبه.

مما سبق يتضح أنَّ هذا الأدب الذي يصطلح عليه «الأدب الثوري» هو الذي يتزامن مع الثورة، يُساير أحداثها، ويتغلغل في داخلها، ويذُوبُ ويَنصهر في أحداثها وحيثياتها، أو لنقل: هو الأدب الذي يولَدُ من رحِم الثَّورة، ويشُبُّ عن الطوق وسط نارها ولظاها، ويتشبع بمبادئها السمحة،حين يغدو ساكنا في مُهجتها، ومن هنا نستطيع الإشارة إلى علاقة وطيدة بين ثورة نوفمبر والأدب، هذا الأخير الذي يوثّق لها، ويُدوّن حيثياتها، ليفتح عُيون الشعب وبصيرته، ويفتح الأذهان الموصدة على حقيقة الجهاد، حيث كان لها بعدا جماليا ومحورا أساسيا عند الشعراء الجزائريين في بث القومية الوطنية لهذا كانت الثورة التحريرية في الجزائر لها فضل عظيم في الأدب، إذ فتحت أمامه الآفاق الرحبة الفسيحة، ما كان ليحلم بها من قبل، لولا الدَّمُ، والنَّارُ ، والحديد، فتفجَّرَت نتيجةً لذلك القرائحُ والمواهب بأدب واقعي صادقٍ ينبُضُ بالثَّورة، كلماته ملتهبة متأججة، حروفه من نار ونُور، كما

[1] ينظر: إبراهيم خليل: مقاربات في نظرية الأدب ونظرية اللغة، دار الرشيد الجزائرية للتوزيع، طبع بدعم من وزارة الثقافة، دارمجدلاوي للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، (دط)، د.ت)، ص169- 170.

[2] – المرجع نفسه ، ص169-170.

شكّلت الثورة محورا أساسيًا عند الشعراء الجزائريين؛ لأنها أسالت الحبر الكثير، وأراقت الهم، لأنَّه الوطن، ولأنها حُرقة الوطن، التي ولدت في نفس الشاعر صُمودًا وتحديا، فأخرج الشعب من سُباته تأثرًا غاضِبًا، رغم نقص العُدُّةِ والعَتادِ .1

يمكن القول باختصار إن الأدب الجزائري ارتبط بالثورة التحريرية ارتباطًا وثيقًا، حيث جسّد الشعراء والأدباء روح الثورة الوطنية وقيمها في أشعارهم وكتاباتهم. فقد كان القلم أداة مقاومة وتوثيق للتاريخ، يعكس تضحيات الشعب ويوقظ الوعي الوطني، فجعل الأدب الثوري ولادة فنية تتفاعل مع أحداث الثورة وتخلّد بطولاتها، مؤكّدًا التزام الأدباء بقضيتهم الوطنية.

فمجال الثورة في الأدب فتح لنا بابا لا يسد وذلك بالولوج إلى مواطنه وأهدافه وكل ما يمس رحابه خاصة ملا نجده عنه الشعراء والكتاب الجزائريين لهذا لا يجب أن نُنكر فضل ثورتنا على أدبنا الوطني؛ لأنها فتحت الباب على مصراعيه، وعبَّدَت الطريق له، وفَرشتها وُرودًا، لكن هذا لم يكن ليتأتي لولا الدماء التي أُريقت، والنار التي اضطرمت في كل مكان، ضف إلى ذلك لغة الرصاص التي القرائِحَ تَجودُ بأدبِ صادق صافٍ، يفِيضُ بالكلمةِ الثَّورِية الرصينة الملتهبة بألفاظ حمراء قانية، مُشِعَة كدِماء الشُّهداء.

كما استقطبت ثورة نوفمبر الكُبرى مُعظم التَّجمعات السياسية، والتيارات الوطنية، وقد أيَّدها الشعراء، وتجلى هذا التَّأييدُ أوَّلا في اعتبارهم الكلمة سلاحا في خدمة الثورة، وفي اعترافهم بأسبقية السَّيف على القلم خلال المعركة، إنّ الثَّورة الجزائرية المجيدة تُمثل لحظةً زمنيَّةً فارقة في التاريخ الحديث، وحينما يقترن الشعر بهذه اللحظة، فإنَّنا نكونُ أمام مُتعَتَينِ : مُتعة الفنّ الشّعري؛ بِجماله،

[1]-ينظر: حبيب دحو نعيمة شعرية الخطاب الثوري عند محمد بلقاسم خمار، إشراف برونة محمد، بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستير جامعة وهران 2012 - 2013، ص 149.

وخياله،وتصويره، ومُوسيقاه، ومُتعة الموضوع؛ بِزَخَمه ،وهَولِه، وروعته وجلاله، وكان الشعر دائما هو الشرارة الأولى التي تنطلق منها كبرى الثَّورات، لتحرير الإنسان من قيود الظلم والاستعباد .1

وقد ألهمت الثورة الشعر كثيرا من الموضوعات التي لم يكن يخوض فيها من قبل؛ فقد حررته الثورة من قيود الرمز، والإشارة، والمهادنة، والخوف والإصلاح الموقر، ومنه فالشعراء التفتوا إلى الثورة الجزائرية في جانبها السياسي، وعَدُّوا الكلمة لا تقل شأنا عن البندقية والرشاش؛ فهي الذُّروة المتوهجة لغالبيَّة الثَّورات، وعندما ترتبط بالأحداث النضالية الجليلة، تجتمع بذلك روعةُ الشّعرِ، وهَوْلُ الوقائع، ما يجعل القلم المبدع يجود بأعذب الأوزان، ويُعبّر عن دواخله، فيتحرَّرُ من القيود التي تُكبّل الشُّعوب في غرة كفاحه، "ومع هذا وذاك هناك أعمال أدبية على قلتها وعلتها كان لها فضل الريادة في الحلم بالثورة والدعوة لها تلميحا أو تصريحا، أي أنها تنبأت بصفة أو أخرى بهذه الثورة وهي تتغلغل تحت قشرة الثورة الجزائرية ولا تنكر مدى مواكبة الأدب بوجه عام والشعر بوجه خاص لمسيرة الثورة التحريرية مترصدا لأحداثها ووقائعها متضمنا لعنايات وطموحات الجماهير الشعبية وهي تساهم بكل ثقلها مساهمة ضالة في إبداع ملحمة ثورية خالدة"2، وهذه الأعمال الأدبية كان لها الفضل في إعطاء نظرة استشرافية للثورة التحريرية وربطها بالواقع الايديولوجي فحركت مواضعهم وأشعارهم ووفقا لهذا الرأي الأخير يجوز أن يكون ثوريًّا في ظروف يسودها الإقطاع، ولكنَّهُ بما فيه من تصورٍ لجدلية الواقع، وحتمية التغيير، يَكشِفُ بِرُؤاه عن الموقف الأيديولوجي الصحيح. 3

وفي الأخير يمكن القول ان الثورة الجزائرية هي ثورة عظيمة، ثورة المليون ونصف المليون شهيد، ثورة الفعل والكلمة والقلم، وأصبحت رمزًا مشرفًا لتاريخ الجزائر ونضال أبطالها الأحرار في الدفاع عن الوطن والرموز الوطنية. وقد خلّد هؤلاء الأبطال تضحياتهم، وبفضل شجاعتهم وبسالتهم، بقيت رؤوسهم مرفوعة بالنصر والفخر، لتصبح الثورة نموذجًا وطنيًا وعالميًا يُحتذى به. وقد استلهم الشعراء

---

[1]-ينظر : إبراهيم خليل: مقاربات في نظرية الأدب ونظرية اللغة، ص174.

[2]-بلقاسم بن عبد الله، الأدب الجزائري وملحمة الثورة منشورات الحضارة ،الجزائر، ط2، 2013، ص 118.

[3]- المرجع نفسه ، ص118.

والكتّاب الجزائريون – مثل الأمير عبد القادر ومفدي زكريا وأبو القاسم خمار وجميلة بوحيرد –من هذه الثورة، فوظفوا أقلامهم لنقل القيم الوطنية والدينية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية، فرفعوا صوت الوطن في أشعارهم، وجعلوا الأدب الثوري وسيلة لتأكيد الانتماء الوطني، وفتحوا بها للثورة الجزائرية مكانة عالمية من حيث التأثير والممارسة.

4. محاور اهتمام الأدب التحرري بالثورة:

"لقد نشأ الأدب التحرري في سياق الحركات الأدبية والثقافية التي صاحبت نضال الشعوب من أجل الحرية والكرامة، ليصبح نوعًا أدبيًا يهدف إلى تعزيز قيم العدالة والمساواة، ويعكس طموحات الشعوب وأمانيها في التغيير والتحرر من الظلم والاستبداد".وقد اهتم بعدة مجالات في الثورة نذكر منها:

الرواية : هي نوع من الفن الأدبي الممتد، يعتمد على نسج الخيال ويكون أطول من القصة القصيرة، ومن الأمثلة على ذلك روايتي الحريق والدار الكبيرة للكاتب محمد ديب، حيث نجدهما يدرجان مبادئ ميلاد الثورة الجزائرية ويربطانها بالسرد الروائي. فقد وظف الكاتب الخيال الأدبي للكشف عن أسباب الثورة وأحداثها، مستخدمًا ألفاظًا وصورًا تعكس عمق المشهد الواقعي والاجتماعي، بما يبرز دور الرواية في صياغة الأدب التحرري ونقل تجربة الشعب الجزائري بشكل فني حيّ وواقعي.[1]، كما وضح محمد ديب صورة الثورة الجزائرية في رواية دار الكبيرة وهذا دليل كاف على تعدد مجالات الأدب التحرري في الروايات الجزائرية، كما نجده أيضا يدرج في رواية الدار الكبيرة قصة عيني مما أعطاها حبكة حركت مظاهر الأدب التحرري ووسمها في روايته والمتمثلة في وقع حكايتها وهي كالآتي: قصة عيني " التي تكافح وتعمل بجهد من أجل توفير لقمة العيش إضافة إلى ابنها عمر الذي كان سندا لها "وكانت عيني وحدها لا تتحرك إنها مسمرة أمام ماكينة الخياطة، وكانت الأشياء

[1]– ينظر: أمنة عشاب، صورة الثورة الجزائرية في الخطاب الروائي الجزائري ثلاثية محمد ديب الدار الكبيرة، الحريق، النول) انموذجا، مجلة أفانين الخطاب، المجلد 01 ، العدد 02، 2021. ص 34.

المطرزة تخرج من تحت إبرتها كأنها سحبت، وكانت تخص أبنائها علي حمل المزيد من الماء بصوتها دون أن ترفع بصرها عن حملها"[1]، وهذا الحال مشابه لما يحدث لباقي الجيران، حيث تقوم دوريات من رجال الشرطة بعمليات التفتيش عدة مرات مما يحدث ذعرا وخوفا لديهم "وغورت طائفة الشرطة في الدهليز، كان يوجد بينهم رجل قصير سمين يرتدي بدلته بلون بني فاتح ويتحاشى أن يلمسه أحد مخافة أن تتسخ ملابسه ... تفرقت النساء مذعورات واختفين في لمح البصر في الحجرات الأولي التي صادفتها"، وكل هذا يتمثل في بلورة الأدب التحرري وربطه بالرواية وأشهر رواية كما سبق ذكرها الحريق؛ حيث نجد هذا العنوان يعطي بصمة ولغزا للروايةوذلك بتفعيله واستدراج شخصياته واستحضار للقارئ، هنانستدرج بعض المقاطع: [2]

- (أمام صف من أكواخ تنبعث منها ألسنة نار كبيرة، وقف بعض المستوطنين يشاهدون ساكتين...)

- (حريق نظيف تسبب في تنقية الموقع)[3]، ويتبين من خلال هذه المقاطع بروز مكانة الرواية في الأدب

التحرري خاصة ما وجد في رواية الحريق حيث يحمل هذا العنوان مرتبة كبيرة في نسج . هذه المقاطع إلى مكانة الأدب التحرري وعلى سبيل الذكر الليل،مع ذكر نوعية السارد باستخدام ألفاظ الصوت، النار، النجدة فكلها ألفاظا تعطي إشارة كبيرة لاستخدامها وهي موطن الثورة، كما نجده أيضا يمكن القيم الاجتماعية والسياسية داخل هذه الرواية حيث توحي إلى تغيير في نسجها وذلك خلال الوقوف على ما يمس الحركة الثورية داخل منوالها، كما يسعنا في هذا المقال استدراج بعض المقاطع

[1]-مصطفي الأشرف الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983،ص422.

[2]-ينظر: محمد ديب رواية الدار الكبيرة تر : سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص: 37.

[3]- ينظر: المصدر نفسه،ص217-221.

والتي توحي إلى سياسة الأدب التحرري الذي هو موطن الثورة وجلي وواضح في هذه الرواية المتمثلة في:

- (صوت ينبعث من الأعماق، يقول لي، بأن نا معنيون من أجل تحقيق هذا المآل العظيم)

- (... قال الكرغلي الكبير، بأن هـ يرغب في أن تعمل روح جديدة على دفع الرجال إلى إنجاز أشغال محيرة، أشغال لا كالأشغال التي ألفناها، أشغال جديدة وهامة)

- (لئن اجتمعنا اليوم كلنا هنا، فإن الغرض هو بالتحديد أن يوضع حد لاحتقار العالم)[1]، وعلى نسج هذه الرواية التي تمثلت في اعطاء بعدا تحرريا للثورة الجزائرية ما حركه الروائيين من روايات متعددة مثل رواية الحريق والدار الكبيرة وكانت شاملة باستخدام الكثير من الألفاظ والمعاني التي توحي إلى استشرافات الأدب التحرري وذلك من خلال استظهار البعد الزماني والمكاني والشخصيات والبطل وغيرها، فلو جلنا في القياس المكاني لرواية الحريق نجده يعطي ألفاظا مسترسلة مثل استخدام الريف، دار السبيطار والشخصيات كعائلة عيني وحميد سراج وعمر فكلها شخصيا تحركت مواطن الأدب التحرري من حيث السياق والصوت والدلالة وغيرها، أما ما يتمثل في البعد الزماني باستحضار الأحداث الواقعية أنذاك باستخدام الأشهر بزمن غير متناه مثل شهر فيفري، أوت، سبتمبر، نوفمبر، ماي. كلها أعطت صبغة جديدة بمنظور جديد حيث وفق الروائيين بالإحاطة بها واستخدامها في رواياتهم وهذا هو موطن الحق في إعطاء بصمات للثورة الجزائرية.

واستظهارا لذلك نجدهم يستحضرون مبادئ الفن الأسلوبي المتمثل باستخدام عبارات توحي إلى دلالات الأدب التحرري وهذا الأسلوب بسيط مسترسل والمتمثل في رواية الحريق على سبيل ذكر بعض المقاطع:

[1]- ينظر: محمد ديب رواية الحريق تر : الدكتور سامي الدروبي، روايات الهلال، ص139-150.

ما الذي كان رائعا؟ سأل حميد.

– كل الرجال اتمعين كل ما كنت تقول لهم في محل النهج السفلي، صاح الطفل، وقد هزه حماس مفاجئ، هل نسيت؟1، وهنا تظهر مواطن الأدب التحرري في الروايات الجزائرية عل اختلاف أشكالها وأجناسها حيث وفق الروائيين في استظهاراها والإحاطة بها وذلك باستخدام القيم الاجتماعية والسياسية والدينية وغيرها.

يمكن القول إن الرواية الجزائرية، كما يظهر في أعمال محمد ديب مثل الحريق والدار الكبيرة، لعبت دورًا مهمًا في الأدب التحرري، فهي لا تقتصر على السرد الخيالي بل تعكس واقع الثورة الجزائرية ومبادئها، وتستحضر أحداثها وشخصياتها وحياتها اليومية. فقد وظف الكاتب الخيال والصور الواقعية والاجتماعية والسياسية والدينية لنقل روح الثورة، مبرزًا التضحيات والبطولات الوطنية، وجاعلًا من الرواية وسيلة فنية تعكس هموم الشعب وأهدافه التحررية، ما يجعل الأدب الثوري الجزائري ممتدًا وملهمًا للأجيال، ويؤكد دوره في توثيق التاريخ الوطني وربطه بالقيم الإنسانية والوطنية العليا.

القصة : تتجلى أهمية القصة في الأدب التحرري من خلال تنوع أشكالها الأدبية وتعدد مضامينها، حيث شهد فن القصة القصيرة تطورًا ملحوظًا ليأخذ مكانة بارزة في هذا السياق .وتباينت أساليب السرد والموضوعات المطروحة، مما أضفى على هذا الفن تنوعًا خاصًا. كما برز عدد من الكتاب الشبان المقيمين خارج الوطن الذين استخدموا قوة الكلمة للدفاع عن الجزائر، مسلطين الضوء على القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية للشعب. "2.

[1]–ينظر: محمد ديب، رواية الحريق، ص 187.

[2]– –شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، د.ط، 1947/1985،ص 106

هنا تظهر ملامح القصة في مجال الأدب التحرري وعلى سبيل الذكر ما وقف عليه ومن الدكتور عبد الله خليفة الركيبي نجده يثني الروح الجماعية ويعطي لقصتنا اليوم بداية الانطلاق والتحرر المواضيع والصور القديمة التي حركت الثورة.1

تتضح أهمية القصة في الأدب التحرري من خلال تنوع أشكالها ومضامينها، حيث أصبحت القصة القصيرة وسيلة فنية بارزة لنقل هموم الشعب الجزائري وقضاياه الوطنية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وقد استخدم الكتاب، سواء المقيمون داخل الوطن أو خارجه، قوة الكلمة لإيقاظ الوعي الوطني والدفاع عن الثورة، ما يجعل القصة عنصرًا أساسيًا في الأدب التحرري الجزائري، إذ تعكس روح الجماعة وتلهم الأجيال بمبادئ التحرر والانتماء الوطني.

وعلى ضد من هذا تظهر جليا مواطن قصة في الأدب التحرري على مستوى الشكل والمضمون فأما على مستوى الشكل اشتغل الأدباء الجزائريون في أيام الثورة التحريرية أشكالا قصصية عديدة عرفها الأدب العربي أثناء النهضة الحديثة حيث وجدوا أساليبا جديدة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم وأحداث بلادهم فكشفوا عنها القناع بأدوات مختلفة حيث مكنتهم من التصوير الفني والشكلي للمعارك والكفاح ومواجهة الاستعمار.2

وبهذه النظرة الشاملة يستظهر لنا جليا بروز القصة في الأدب التحرري من حيث تميّز شكله وفنه وذلك بالقراء والتنوع، فمن هنا تبقى نظرة الأدباء نظرة نوعية وذلك بالاطلاع على المطابع العربية القصصية وتغيير محركاتها كماً وكيفاً.3

أما على مستوى المضمون نجد أثر الثورة التحريرية على المجاميع القصصية المتمثل في استلهام الواقع وصمود الشعب الجزائري أمام الاستعمار وهذا راجع إلى الثورة اللغوية التي استحضرها الأدباء في إثراء

[1]-ينظر: عبد الله خليفة الركيبي، مقدمة نفوس ثائرة، مجموعة قصصية، مطبعة الدار المصرية القاهرة، ط1، 1962، 'ص 21.

[2]-ينظر : أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،ص 108

[3]- المرجع نفسه، ص108.

القصة الجزائرية، حيث بعثت الثورة مضامين أحاطت بالواقع الأدبي المتمثلة في البطل المناهض والشخصيات وغيرها، حي نجد عبد الحميد بن هدوقة يعالج في كتاباته موضوع الثورة التحريرية والريف الجزائري فهو يستخدم أساليب قصصية فنية عديدة ومتنوعة بالحرص على إنشاء رؤية اجتماعية للفن[1].

من خلال هذا نرى أن ظهور القصة في الأدب التحرري الجزائري بأهمية كبيرة على المستويين الشكل والمضمون. فعلى المستوى الشكلي، ابتكر الأدباء أساليب قصصية جديدة تعكس أحداث الثورة ومعارك الشعب ضد الاستعمار، مما أتاح لهم تصوير الواقع الفني والاجتماعي بشكل مميز. أما على المستوى المضموني، فقد استلهم الأدباء الواقع الجزائري وصمود الشعب في مواجهة الاستعمار، فبرزت شخصيات أبطال وقيم وطنية في قصصهم، مثل أعمال عبد الحميد بن هدوقة، التي تجمع بين الفن القصصي ورؤية اجتماعية تحاكي الثورة والتحولات المجتمعية، مؤكدة بذلك الدور البارز للقصة في الأدب التحرري.

وهناك قاسم آخر لعثمان سعدي نلاحظ اتساع بعض قصصه الفنية في مجال القصة القصيرة المشهورة بـ: تحت الجسر المعلق المتمثل في استحضار الذهنيات والبطولات والشخصيات والأحداث بقيامها البطل النموذجي في وقع سبيل الوطن[2]، وبالتالي إنّ استلهام الروايات والقصص ما أعلنت من روح للقيم الثورية في مجال الأدب ذاكرا أبو العيد دودو "من أبرز كتاب جيل الثورة حيث عالجت قصصه موضوعات الحرب والموضوعات الاجتماعية معا"[3]، وبيان ذلك تظهر لنا خلفيات القصة في الأدب التحرري فلو وقفنا على ما راج به أبو العيد دودو في لغته التي ظلت متناثرة ومتأثرة بالمعجم اللغوي

[1]-ينظر: عبد الله بن حلي، القصة العربية الحديثة في الشمال الافريقي، ص 22.

[2]- ينظر: عثمان سعدي، تحت الجسر المعلق الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 1980، نقلا عن أحمد شريط تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص.120-119

[3]- أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، 121-122.

كقصة انتظار1 ، ومن خلال هذا يتبين لنا رسم طابع القصص في الأدب بمختلف الصيغ تنظيرا وتطبيقا، ومن أبرز أدباء الثورة التحريرية زهور ونيسي كاتبة للقصة القصيرة حيث تغنت بالروح الوطنية والنضال السياسي واستحضار المرأة الجزائرية بمختلف أقطابها سواء حضرية أو ريفية أو جندية أو غير ذلك.2 وكانت هذه القصص محل جمع أي ضمة كل قصصها إلى مجموعاتها الثانية على الشاطئ الآخر.3

إذن تبقى ملامح الأدباء في هذه المرحلة رابطا قويا بالروايات القصص والمسرح وغيرها عبروا طريقها بمضامين مختلفة من حيث الجوانب الفنية والشكلية إذ رسموا طريقها وأدرجوا مراتبها وذلك بالتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم وأحاسيسهم وتمسكهم بتراثهم من شتى أشكال النظاموالروح الوطنية والمقاومة والصمود والتجديد في رحاب الثورة وبالتالي تبقى نسبية استدراج الأدب التحرري في مجال الرواية والقصة والحكاية وغيرها متمازجة شكلا ومضمونا واختلافا في النظر والتطبيق وهذا ما نجده في مدونات كتب النقاد والأدباء.

فبعد هذا يتوضح لنا أن القصة في الأدب التحرري الجزائري هي وسيلة فنية لنقل روح الثورة وقيمها الوطنية، حيث استلهم الأدباء مثل عثمان سعدي وأبو العيد دودو وزهور ونيسي أحداث الثورة وشخصياتها وبطولاتها. فقد جمعوا بين المضمون الواقعي والأسلوب الفني، معبرين عن مشاعر الشعب وصموده، ما جعل الأدب التحرري أداة لتوثيق التاريخ ونقل القيم الوطنية عبر الرواية والقصة والحكاية.

تتجلى مظاهر الأدب التحرري بوضوح في الشعر الشعبي، الذي يُعدّ أحد الركائز الأساسية التي استعان بها عدد كبير من الكتّاب والنقّاد لإيصال رسائلهم. فقد اتخذت أشعارهم الشعبية شكلًا من

---

[1]-أبو العيد دودو، بحيرة الزيتون المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984،ص95.

[2]-ينظر: عبد الله خليفة الركيبي، تطور نثر الجزائري الحديث الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1978، ص180.

[3]-زهور ونيسي، على الشاطئ الآخر، الشركة الوطنية الجزائر، ط 1 ، 1974، نقلا عن أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، ص .124.

أشكال الغناء الموسيقي الذي يتغنى به الشعراء في التجمعات العامة، الأسواق، وبالأخص في المناطق الريفية وغيرها .ومن بين الأسماء البارزة التي تركت بصمتها في هذا السياق يأتي اسم المصري أحمد فؤاد نجم، الذي استطاع أن يمزج الروح الوطنية والقومية مع الروح العالية للشعر الشعبي، مبرزًا هذا النوع في إطار الأدب التحرري .تطرقت قصائده إلى قضايا شتى وعبارات ذات أبعاد عميقة، حيث يظهر من خلالها تنقله الذكي بين الشعر الحر والشعر الفصيح، ثم انطلاقه نحو الشعر الشعبي المتميز بإيقاعاته وكسره للقيود .تمكن من ربط هذا الأسلوب الشعري بالتحرر من الواقع الأليم، مع التعبير عن التغلغلات والانكسارات والهزائم التي عايشها مجتمعه.، فخطاباته الشعرية منظومة على شكل الشعر الحر يمثل المقاومة المصرية وذلك باستدراج كل العبارات التي تنم عن مواطن الأدب التحرري .[1]

فكان أحمد فؤاد نجم مدافعا عن الثورة بشعره وبمقاومته واسترجاع الأراضي المقدسة وقهر المستدمر فأطلق عنانها ووسمها بالقضية السياسية تحت أهبة هذهالمقاطع:

من السكات

يبعضها راح لليهود

والبعض مات

والي جابوا النكسه

لسه ع الكراسي

فوق ظهور المخلوقات [2]

[1]-ينظر: سعاد حميدة، دلالات الوعي في الخطاب الشعري الشعبي عند أحمد فؤاد نجم، مقاربة تداولية، المركز الجامعي عبد الحفيظ بالصوف ميلة ، الجزائر مجلة سيميائيات مجلد 08/ العدد 02،سبتمبر 2019 ، ص121.

[2]-أحمد فؤاد نجم الأعمال الشعرية الكاملة مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، مصر، 2009 ، ص400.

وفق الشاعر في استحضار عبارات التي توحي إلى الثورة والمقاومة وذلك باستدراج مختلف التنوع اللغوي والمقام والسياق كلها عوامل ومحددات تسهم في إعطاء نظرة اجتماعية وسياسية التي كانت ضالة في المجتمع العربي الذي كان يسوده الحزن والألم والواقع المزري وهي مرارة لا تحتمل.[1]

ونستنتج أن تجليات الأدب التحرري ظهرت أولًا في شعر الثورة، ثم امتدت لتشمل المسرح والقصة والرواية، خاصة في أعمال محمد ديب مثل ثلاثيته الحريق والدار الكبيرة .كما تجلت هذه التجليات في القصص الثورية القصيرة من حيث الشكل والمضمون، وزادت رونقًا بفضل استلهام الشعر الشعبي الثوري المصري عند أحمد فؤاد نجم، الذي دمج بين الأشعار الحرة والفصيحة والشعر الشعبي، مؤكدًا الروح التحررية في الأدب.

5. المرتكزات الموضوعاتية للأدب التحرري:

تتجلّى أهمية الأدب التحرري في تصوير محركات الثورة في العالم العربي بمختلف أبعادها، مما جعله موضوعًا غنيًا وملهمًا للأدباء، وخاصة الشعراء في كل أقطاب العالم العربي، سواء في المشرق أو المغرب العربي. ومن أبرز رواده الذين ساهموا في نشر هذه التجربة الأدبية :أحمد شوقي، محمود سامي البارودي، محمود درويش، مفدي زكريا، وحافظ إبراهيم، وغيرهم من الشعراء الذين تناولوا الثورة في أشعارهم. حيث كانت لهم أبعاد وموضوعات اجتماعية ودينية وتاريخية وقومية وطنية، في استقطاب ملامح الأدب التحرري: فلو وقفنا على البعد الموضوعي القومي الذي يعكس الحرية والاستقلال في جميع أصنافه لهذا صور الشاعر موطن الحرية والنضال السياسي ببعده القومي إذ يقول الشاعر العراقي أحمد مطلوب:

أَيُّهَا الشَّعْبُ الذِي هَنَّ الجِبَالا لَمْ يَعُدْ نَصْرَكَ حُلُماً وَحَيَالًا

[1]- ينظر: ابن ظافر الشهري استراتيجيات تحليل الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،ط1 ، 2004 ، ص43.

يَمْلَةُ الدُّنْيَا كِفَاحاً وَنِضَالًا صوتك الحر تسامي وتعالى[1]

ومن خلال هذه الأبيات يتبين لنا مواطن النضال والحرية المطلقة، وهذه الحرية تظهر في استدراج مواطن الإنسانية والدفاع عنها فلم ترهبه السجون ولا القتل ولا التعذيب التي مارسها الاستعمار الفرنسي بل بالمطالبة بالحق الإنساني والتضحية من أجل الروح الوطنية القومية. [2]

وها هنا إشارة عابرة تتمثل في بلورة مدى البعد الموضوعي الوطني الذي يتمثل في قيم الثورة التي دافع عنها الشعب الجزائري وصون شرفه وكرامته اتجاه وطنه فرافع القلم والسلاح في أشعارهم حيث تغنوا بثورتهم القومية المجيدة، من أجل رفع الراية الوطنية القومية:

إلى المكافحين والمقاومين في أيّ شبرٍ

من أرض الجزائر، أهدي هذا النشيد

سنفدي البلاد بأرواحنا

إرهاصات الأدب التحرري في شعر الثورة

سنفدي البلاد بأبنائنا

الديار ... ونحكي الخيام ... ونحمي المواطن من كل عار [3]

[1]- أحمد مطلوب، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2014، ص 66.

[2]- ينظر: عبد الوهاب خالد القيم الإنسانية في شعر الثورة الجزائرية منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، قسنطينة،2003 ، ص21.

[3]-احمد السراج "ثورة الجزائر " جريدة العلم، العدد – 2706 ، 1957 نقلا م، عن هجرسي خضراء، أ.د. جويبة عبد الكامل، استلهام الثورة الجزائرية في الشعر العربي (القيم والأبعاد كلية العلوم الانسانية والاجتماعية جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مجلة دراسات انسانية واجتماعية المجلد 09، العدد 02 خاص،16 فيفري 2020 ، ص176.

هنا الشاعر وظف العبارات الدالة على البعد الوطني وذلك من خلال استدراج مواطن الحرية والبعد الانساني والبحث عن الاستقلال التام وطرد الاستعمار من الأرض المقدسة، بل وكان نتيجة إحساس بالغربة بأن الاستعمار الذي شهدته الدول العربية لم يكن نتيجة البعد عن الوطن بل كان نتيجة إحساس الشاعر العربي والشعب العربي بالغربة داخل وطنه نظرا لاستبداد المستعمر وظلمه وتغيير نظام الحكم ونمط العيش داخل الوطن 1، وهذا الانتماء هو ما جعل الروح الوطنية وبعدها القومي يتجلى في مواطن الأدب العربي على و وجه العموم، كما نجد الكثير من الشعراء العرب الذين استوطنوا البعد القومي في أشعارهم ما ذكره الشاعر المغربي محمد الحبيب الفرقاني عن مبادئ الثورة الجزائرية في قصيدته بعنوان: "ضمأ إلى الصحو"

وَهُوَانُ دَرْبِي وَالْجَزَائِرُ ثَوْرَتِي وَبِنَائِي أُحْتَانُ عَانَقَنَا بِأَقْدَارِ العُلَا بَيْضَائِي2

وكل هذا يتمثل في تعزيز الوحدة الوطنية بين الشعب الجزائري ونضاله الوطني القومي الانساني

والبحث عن الحرية والاستقلال والوطنية وهذا ما تبناه الشعراء في مدونات أشعارهم كماً وكيفاً. أما إذا تحدثنا عن البعد الديني الذي كان حاضرا في أشعارهم الثورية بكل أبعاده وذلك بإعطاء رمزا دينيا للجمهورية الجزائرية ضمن الحفاظ على المقومات الإسلامية، ومن هنا أن الثورة قائمة على مبادئ الإسلام3، ومن بين القيم الدينية التي انهجتها الثورة في سبيل الحرية والتي تمثلت في إعطاء الحرية والنضال ومن هنا ما تبناه الشاعر حسن عبد الله القرشي في قصيدته كفاح مقدس وهي عبارة عن توظيف للرموز الدينية إذ يقول :

[1]-ينظر : عمر بوقرورة الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث منشورات جامعة باتنة الجزائر، 1997، ص 12.

[2]-محمد زكور، الأبعاد الحضارية للثورة التحريرية وأثرها في الشعر المغاربي أعمال الملتقى الوطني حول الأبعاد الحضارية لثورة أول نوفمبر 1954م، مجلة المعيار، العدد 04، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2003،ص293.

[3]-هجرسي خضراء – أد. جويبة عبد الكامل، استلهام الثورة الجزائرية في الشعر العربي (القيم والأبعاد)، ص 180.

قَدْ عَادَ طَارِقُ وَعَادَ السَمْحُ لِلْفُوحُ وَالبَشرِيَاتُ هَلَّلَت وَالأَمَلُ الطَمُوحُ

ودوت الجبال بالنشيد والسفوح فَفِي المحِيطُ الأَطْلَسِيُّ فَجْرُنَا يَلُوحُ[1]

ومن خلال هاذين البيتين يتضح لنا جليا أن الشاعر استقطب الرموز الدينية كلفظة الطارق، الجبال، فجرنا، كلها ألفاظا توحي إلى البعد الديني أي أنّ الشاعر ضمّن نصه برمز ديني وهذا ما استهله بقية الشعراء كما فعل الشاعر مصطفى الغماري تحت عنوان القدس وهنا أيضا يستحضر البعد التاريخي:

فجرت منابع الإبداع فيه فهاموا في مداك رؤى وضياء

ورق حنينه فيك انسيابا فرقرقة القلوب لك الوفاء

فماذا يا جلال القدس ماذا؟ وقد عاد الزمان بنا وراء

.....

يلملم جرحنا في كل ناد ويقبس من لياليه الشتاء[2]

وهنا الشاعر الجزائري ضمن نصه ببعد ديني يعود إلى زمن التذكر هيهات الحرب أما الشاعر أحمد شنة فهو يدعوا إلى نبذ القهر والظلم وتوحيد الوحدة الوطنية لهذا حاول أن يستنجد بالأبعاد الرمزية الدينية والتاريخية في نصه طواحين العبث بقوله:

تكلم

وقل إننا لا نخاف اليهود

[1]- -حسن عبد الله القرشي، نداء الدماء، منشورات دار الآداب،بيروت،1964 م ، ص215

[2]-مصطفى محمد الغماري، بوح في موسم الأسرار، لافوميك، الجزائر ، ط1، 1985، ص 70-71.

سنخرجهم من خيام أمية

من رمل خيبرة، من مهبط الأنبياء

ولكن تمهل 1

يتضح من ذلك أن الأدب التحرري العربي، وخصوصًا الشعر الثوري، كان وسيلة فعّالة لنقل قيم الحرية والاستقلال والروح الوطنية. فقد استلهم الشعراء مختلف الأبعاد القومية والدينية والتاريخية والإنسانية في أشعارهم، معبرين عن نضال الشعوب ضد الاستعمار وظلم المستبدين، ومبرزين التضحية من أجل الوطن. كما أظهر الشعر دور الأدب في توثيق الثورة وتعزيز الوحدة الوطنية ونشر الوعي بالقيم الإنسانية والسياسية والدينية، ما يجعل الشعر الثوري أداة أساسية لفهم التاريخ والنضال العربي.

واستهلالا لتلك الأبيات فإنّ الشاعر أحمد شنة استقطب الأبعاد الرمزية الدينية في أشعاره، وهذا مفدي زكرياء الشاعر الجزائري الذي حرك الثورة الجزائرية بأشعاره المتمثلة في الإلياذة ورصد فيها البعد التاريخي والديني:

سجا الليل في القصبة الرابضة فأيقظ أسرارها الغامضة

أشرشال هل تذكرت يوما ومن لقبوا عرشك بالقيصرية

ومن مصروك فنافست روما وشرفت أقطارنا المغربية

تلمسان مهما أطلنا الطوافا إليك تلمسان ننهي المطاف2

[1]-أحمد شنة طواحين العبث، مؤسسة هذيل، مطبعة هومة ،الجزائر، ط1، 2000، ص 53.

[2]- مفدي زكرياء إلياذة الجزائر ، م . و .ك ، الجزائر، ط2، 1987، ص.41-27

إذن هنا الشاعر مفدي زكرياء أبان أبعاد الرمز الديني المتمثل في الكلمات التالية (سجا، الليل، الروم، الطواف) حتى يتسنى للقارئ معرفة الأبعاد الدينية في الشعر عامة.

وقد يقوم أي شاعر جزائري مدى الأبعاد الموضوعاتية في الأدب التحرري ذلك بالوقوف على دلالات رمزية لكل كلمة أو عبارات سواء منها التاريخية أو الدينية أو الاجتماعية، فلعل الشاعر ناصر معماش في نصه الشعر قائد هذه الأوطان:

من لم يزر بغداد أو غرناطة لن يفهم التاريخ في الجولان

من لم يرى النيل المسافر في المدى فقرأ عليه سورة الرحمان

في قلب أوراس الجزائر حالم نبضاته من أجل الألحان

في كل شبر من ربوعه قصة كتبت بكل لغات ذي البلدان[1]

والشاعر استهل الأوراس وهو الحبل السري في معرفة مدى انطلاق الثورة وهو تاريخ عريق لا يعرفه إلا الأبطال الأوفياء لوطنهم وبالتالي الشاعر هنا استحضر البعد التاريخي والديني المتمثل في العبارات التالية: البلدان الأوراس، غرناطة، بغداد النيل، الجزائر، الرحمان، الجولان. وهذا دلال على التشبث بالرموز الوطنية وهذا الشاعر سليمان جوادي حور قصيدته بعنوان "أعاصمة الجزائر"

أَعَاصِمَةُ الجَزَائِرُ مَا دَهَاكِ وَمَنْ دَكَ الشَـوَارِعَ وَالْمَبَـانِيَ

فَمَنْ لَكَ بِالتَوَاكِلَ وَالْيَتَامَى وَمَنْ أَلْقَى الفَجِيعَةَ فِي حُمَاكِ

وَأَغْضَبُ دَونَ مَا جَرُمَ سِمَاكَ أَسَاهِمَ قَدْ تَمَازَجَ فِي أَسَاكِ[2]

---

[1]-- ناصر معماش اعتراف أخير، دار هومة، الجزائر، ط1، 2001، ص74.

[2]-سليمان جوادي، نصوص الطوفان منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين دار هومة الجزائر، ط1، 2001، ص18.

فالشاعر الجزائري برهن على البعد الديني والتاريخي في الشعر المتمثل في العبارات التالية: (الجزائر العاصمة، الفجيعة، اليتامى، الجرم) كلها موضوعات أفاضت البعد الديني والتاريخي للثورة الجزائرية، وما استحضره الشاعر يوسف وغليسي باستقطاب القرآن الكريم في ديوانه تغريبة جعفر الطيار:

ألجأ الآن وحدي إلى الغار

لا أهل ... لا صحبة ... إلا الحمامة والعنكبوت!

غربة الديار التي لا أحب ديارا سواها

ولكنني متعب من هواها[1]

يمكن القول ان الشاعر استلهم الثقافة الدينية فاستحضار نصوصه الشعرية واستقطبها بأبعاد تاريخية دينية والعبارات الدالة على ذلك: الغار الحمامة، العنكبوت الديار) كلها رموز دينية، تاريخية، حركت مدى ثقافة الشاعر المشتركة بالقضايا التاريخية والدينية والوطنية والسياسية حتى يفهم القارئ مدى استقطاب هذه الأبعاد وتجليها في الأدب التحرري. وهذا الشاعر عبد الغني خشة يتساءل عن موطن الثورة:

إلى متى تبقى المكبل

بالقرار وبالحوار وطاولات الانتحار

وبالموائد والفضول؟

سدد خطاك لأنت في الآتين آيات الرسول

[1] – يوسف وغليسي، تغريبة جعفر الطيار منشورات منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين دار هومة، الجزائر، ط1، 2000،ص29-31.

الأرض أغنية يكررها اللسان

الأرض زمبقة ونيشان وشان

هذا ترابك فيك أنت له البديل [1]

فالشاعر هنا استحضر الرموز الدينية والتاريخية وهذا بارز من خلال تساؤله عن ذاكرة الثورة الجزائرية المتمثلة في العبارات التالية (الأرض الانتحار، آيات الرسول الأغنية، اللسان، وغيرها)

يتضح من الأمثلة السابقة أن الشعر الجزائري في الأدب التحرري اعتمد بشكل كبير على استحضار الأبعاد التاريخية والدينية والوطنية في نصوصه. فقد وظف الشعراء مثل مفدي زكريا وناصر معماش وسليمان جوادي ويوسف وغليسي وعبد الغني خشة الرموز الدينية والتاريخية لتعزيز البعد الوطني وإبراز روح الثورة الجزائرية. هذه الرموز – سواء كانت مرتبطة بالأماكن، الشخصيات، الأحداث التاريخية، أو المراجع الدينية – ساعدت في ترسيخ القيم التحررية، ونقل تجربة الشعب الجزائري ومعاناته في مقاومة الاستعمار، وجعلت الشعر وسيلة فعّالة للتعبير عن الهوية الوطنية والقومية والإيمان بالقيم الإنسانية.

خلاصة :

يتضح من خلال هذا الفصل أن الثورة والأدب يشكلان ثنائية متكاملة تقوم على التأثير المتبادل، إذ يعد الأدب وسيلة فعالة للتعبير عن روح الثورة وتوثيق أحداثها وترسيخ مبادئها في الوعي الجماعي. وقد بينت الدراسة أن مفهوم الأدب ارتبط منذ نشأته بالتهذيب والتعبير عن التجربة الإنسانية، في حين ارتبط مفهوم الثورة بالتغيير الجذري والرفض الواعي لمظاهر الظلم والاستبداد. ومن هذا المنطلق نشأت علاقة وثيقة بين الأدب والثورة، حيث أسهم الأدب الجزائري في مواكبة الثورة التحريرية والدفاع عن أهدافها من خلال مختلف الأجناس الأدبية، كالرواية والقصة والشعر والمسرح، فكان صوتًا للمقاومة ومرآةً لتضحيات الشعب الجزائري. كما أبرز الفصل أهم المجالات التي تجلت فيها مظاهر الأدب

[1]–عبد الغاني خشة ويبقى العالم أسئلة اتحاد كتاب الجزائريين دار هومة الجزائر، ط1، 2003،ص52.

التحرري، والتي عكست الواقع النضالي للشعب الجزائري وساهمت في بناء الوعي الوطني وترسيخ قيم الحرية والاستقلال. وتبين كذلك أن الأدب التحرري استند إلى مرتكزات موضوعاتية متعددة، منها البعد الوطني والقومي والديني والتاريخي والاجتماعي، وهي أبعاد وظفها الأدباء والشعراء للتعبير عن آمال الشعوب وآلامها وتطلعاتها نحو التحرر. وعليه، فإن الأدب التحرري لم يكن مجرد إنتاج فني وجمالي، بل كان أداة نضالية وفكرية أسهمت في حفظ الذاكرة الوطنية وتخليد بطولات الثورة الجزائرية، وجعلت من الكلمة شريكًا حقيقيًا للبندقية في معركة التحرر والاستقلال.

الفصل الثاني : صدى الثورة التحريرية الجزائرية

البعد الحضاري للثورة الجزائرية ومواجهة الاستعمار.

الشعر كأداة نضال وتوثيق في الثورة الجزائرية

تجليات الوعي الثوري في الشعر الجزائري الحديث

خلاصة

تمهيد :

تُعدّ الثورة التحريرية الجزائرية من أبرز المحطات التاريخية التي شكّلت وجدان الشعب الجزائري ووعيه الوطني، إذ لم تكن مجرد حدث سياسي عابر، بل تجربة إنسانية عميقة تركت أثرها في مختلف مجالات الحياة، وعلى رأسها الأدب. وقد وجد الشعر الجزائري الحديث في هذه الثورة منبعًا خصبًا للإلهام، فعبّر الشعراء من خلاله عن آلام الشعب وآماله، وصوّروا ملاحم الكفاح والتضحيات التي صنعت الاستقلال. ومن هنا برزت صدى الثورة في النصوص الشعرية بوصفها انعكاسًا حيًا لنبض المجتمع وتفاعله مع واقعه التاريخي. وعليه، يسعى هذا الفصل إلى استجلاء تجليات الثورة التحريرية في الشعر الجزائري الحديث، والكشف عن أبعادها الفنية والدلالية، وكيف أسهمت في تشكيل خطاب شعري وطني يحمل قيم الحرية والنضال والهوية.

1) البعد الحضاري للثورة الجزائرية ومواجهة الاستعمار.

كانت الثورة الجزائرية تحديا على مستوى الوجود الحضاري، ومقاومة عنيدة شديدة بالوسائل المختلفة، وبشتى الأشكال، عقائدية فكرية، واجتماعية اقتصادية، وبشرية مادية، ولم يكن الاستعمار الفرنسي إلا ذلك الاستخراب الذي سعى بكل تقنياته إلى تخريب الدار الجزائرية، وتهديم دعائهما والقضاء على مقومات بقائها من لغة ودين وتاريخ ووجود مادي". [1]

تعتبر الثورة إحدى المفاهيم الخاصة التي تفرقت بشأنها الأفكار وتناثرت، والسبب يعود إلى الفهم الحضاري السليم الذي غاب عن الأنظار ، أو مورس في شأنه الغياب، والذي نسأل بشأنه الآتي: ما الثورة؟ ما معناها؟ ما حدودها؟ ما أهيمتها ؟ يجيب مالك بن نبي عن بعض هذه الأسئلة بقوله : "الثورة" لا ترتجل، إنها اطراد طويل يحتوي ما قبل الثورة، والثورة نفسها وما بعدها، والمراحل الثلاث هذه لا تجتمع فيه بمجرد إضافة زمنية بل تمثل فيه عضويا، وتطورا تاريخيا مستمرا وإذا حدث أي خلل في هذا النمو، وفي هذا التطور، ، فقد تكون النتيجة زهيدة تخيب الآمال".[2]

فالثورة بهذا المعنى استعداد حضاري عام وشامل يقوم به الإنسان لإنجاز المهام الكبرى التي تؤهله للسيادة والإستخلاف والثورة بهذا المعنى لا تبنى على العبث ولا يحكمها قانون الصدفة نتيجة حتمية لسنن التغيير التي أودعها الله عباده، والتي إن ساروا وفقها بلغوا مرحلة الثورة التي تؤول بهم إلى زمن النصر الدائم". [3]

إن هذه السنن نجد لها مثلا في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لم يبلغ غزوة بدر حتى فقه قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ»، [4]وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمْ اللَّيْلَ»، [5] والثورة بهذا المعنى حركة تغيير شاملة يقوم بها الإنسان لإثبات الذات، وعلى هذا يضاف شرط آخر وهو روح

---

[1]- إبراهيم رماني : أوراق في النقد الأدبي. ط1. دار الشهاب. الجزائر. 1985. ص: 34-35. (3) - المرجع نفسه: ص: 35.

[2]- عمر بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر . دار الهدى الجزائر . 2004. ص: 75-76.

[3]-المرجع نفسه ، ص76

[4]-سورة المدثر ، الآية (1-2)

[5]-سورة المزمل ، الآية (1-2)

الثورة وفلسفتها، فالثورة ليست كإحدى الحروب تدور رحاها مع العدد والعتاد، بل إنها تعتمد على الروح والعقيدة".[1]

تُظهر الثورة الجزائرية باعتبارها تجربة تاريخية عميقة أنّها لم تكن مجرد مواجهة عسكرية مع الاستعمار الفرنسي، بل كانت تحدّيًا حضاريًا شاملًا استهدف الدفاع عن مقومات الهوية من لغة ودين وتاريخ ووجود مادي. فقد واجه الشعب الجزائري مختلف أشكال الاستخراب بمقاومة متعددة الأبعاد، جمعت بين ما هو فكري وعقائدي واجتماعي واقتصادي. كما يتّضح أنّ مفهوم الثورة، كما يبيّنه مالك بن نبي، لا يُختزل في لحظة زمنية محدودة، بل هو مسار حضاري متكامل يمتدّ قبل الثورة وأثناءها وبعدها، تحكمه سنن التغيير والتطور. ومن ثمّ، فإنّ الثورة في جوهرها فعل إنساني واعٍ يقوم على الاستعداد الحضاري والالتزام القيمي، وتستمدّ قوتها الحقيقية من الروح والعقيدة، لا من الوسائل المادية وحدها، وهو ما جعل الثورة الجزائرية نموذجًا بارزًا لحركة تغيير شاملة أثمرت التحرر وبناء الوعي الوطني.

وقد كانت الثورة الجزائرية كذلك – أو هكذا فهمها من ضحوا من أجلها على الأقل – يقول أحمد طالب الإبراهيمي، "فالثورة الجزائرية لم تنبثق عن صراع بين طبقات المجتمع الواحد، بل كانت نتيجة للكفاح الذي خاضه الشعب بأسره ضد الاحتلال الأجنبي من أجل استعادة شخصيته ولغته وتاريخه وثقافته وباختصار من أجل إثبات شخصيته الأصيلة التي طالما حاربها الاستعمار".[2]

وبالتالي فالثورة فعل إنساني، هدفه التغيير الشامل، والتطهير الكلي، إنهاالزلزال الذي يقلب ملامح الأرض، ويهز الأعماق، ويغير الخرائط، ويبدل المجتمعات والأفكار.

بعد مجزرة الثامن ماي 1945 التي ذهب ضحيتها أكثر من أربعين ألف جزائري، حين كان الحلفاء يحتفلون بانتصارهم اكتسب الشعب الجزائري تجربة جديدة نبهته إلى الحقيقة المرة أنه لا أمل في التحرر من غير سلاح، وهذه المجزرة وإن خلفت جراحا وآلاما كثيرة، جعلت الشعب ييأس من المحاولة السلبية ويكتشف نفسه التي كانت تائهة في ضباب السنين".[3]

[1]- عمر بوقرورة : دراسات في الشعر الجزائري المعاصر . دار الهدى الجزائر، 2004،ص 75،76.

[2]المرجع نفسه ،ص 75،76.

[3]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1985. ص: 43.

وبفضل تلك المأساة ظهرت في أفق الجزائر ألحان الحرية والضحايا والإستقلال، والعلم الرفراف، إلى آخر هذه الرموز المقدسة لدى الشعب، التي لم تظهر لولا التطور الكفاحي الذي كان يدنو من الهدف". [1]

وهكذا كانت أحداث" ماي أو المجزرة الأربعينية التي ارتكبها الاحتلال في حق شعب لا يملك إلا سلاح الإرادة والعزيمة ولا يقاوم إلا ببقية من إيمان السنين الطوال، الذي أصبح فيما بعد رصاصا قاتلا".[2]

كانت هذه الأحداث "البوتقة" التي انصهرت فيها كل الجهود السياسة والإصلاحية لتولد بعد عقد من الزمن "جبهة التحرير الوطني، وكان جريان الأحداث وتحولات الواقع السريعة بعد "ماي" حافزا قويا على دفع عجلة الثورة التي يتبناها الشعر في دعوته إليها صراحة، وتأتي ثورة نوفمبر امتدادا لمقاومة السنين الطوال، وثمرة لجهود الحركات الإصلاحية والأحزاب السياسية، وتكون آخر فصل من فصول مسرحية الصمود". [3]

يتبيّن أنّ الثورة الجزائرية كانت فعلًا جماعيًا شاملًا عبّر عن إرادة شعب بأكمله في التحرر واستعادة هويته الحضارية، وليست مجرد صراع طبقي داخلي، بل كفاحًا وطنيًا ضد الاستعمار الأجنبي. وقد مثّلت مجازر الثامن ماي 1945 نقطة تحوّل حاسمة في وعي الجزائريين، إذ كشفت لهم استحالة التحرر بالوسائل السلمية، فكانت بمثابة الشرارة التي أيقظت روح المقاومة وأعادت تشكيل الوعي الوطني. ومن رحم تلك المعاناة تبلورت معالم الثورة، وتوحّدت الجهود السياسية والإصلاحية لتتجسّد في إطار منظم تمثّل في جبهة التحرير الوطني، وصولًا إلى اندلاع ثورة نوفمبر التي جاءت تتويجًا لمسار طويل من النضال. وهكذا، فإنّ الثورة الجزائرية تُعدّ حركة تغيير جذري وشامل، جمعت بين الإرادة الشعبية والوعي التاريخي، وأسهمت في بعث روح الحرية التي انعكست بدورها في الخطاب الشعري الداعي إلى النضال والتحرر.

اندلعت الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954، بعدما باءت كل المحاولات بالفشل، ويئس الجزائريون من نيل مطالبهم في الحرية والاستقلال، فمنذ عهد الأمير عبد القادر وجذوة المقاومة

[1]- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر.ص44.

[2]-إبراهيم رماني ، أوراق النقد الأدبي ، ص55.

[3]-المرجع نفسه ،ص55 .

مشتعلة ولم تنطفئ وبقيت صامدة ومستمرة، وإن حدث تغيير في شكلها وأساليبها، حسب ما تقتضيه الظروف ومتطلبات الحياة، وفرنسا لم تدخر جهدا ولا وسيلة في حربها ضد الجزائر فمارست كل أشكال التعذيب والتشريد، وكل أنواع القوة والقهر والظلم والوحشية والاضطهاد، وهي لم تكتف بهذا بل ضربت الجزائر في الصميم في هويتها ومقوماتها أيضا.

والاحتلال الفرنسي لم يكن احتلالا عسكريا فحسب، بل كان غزوا ثقافيا أيضا، وبالتالي إحكام السيطرة على الجزائر عسكريا وثقافيا والتمكن من الاستيطان والاستقرار بها، وتحويلها إلى قطعة فرنسية في شمال إفريقيا.

أدرك المستعمر الفرنسي أن الثقافة سر بقاء الشعوب، وأنها اسمنت الوحدة التي هي

أساس القوة، وبدون قوة لا وجود للبناء والتشييد، ولا ازدهار للفكر والإبداع، وكان الاستعمار بجميع أنواعه ومنذ القديم يعرف ذلك، وعليه فإنه كان دائما يوجه ضرباته الأولى إلى الكيان الثقافي اما عن طريق الإعدام المادي أو بواسطة الغزو الروحي والأدبي، بعد ذلك يركز على السيطرة السياسية والإقتصادية". [1]

لقد وجهت ضرباتها الأولى لمصادر الثقافة الوطنية، فاستولت على معظم المساجد ثم هدمت بعضها وحولت الباقي إلى كنائس أو مصالح إدارية أو مراكز صحية، وضايقت المعلمين والمتعلمين في مرحلة أولى، ثم راحت تطاردهم وتنفيهم من الوطن في مرحلة ثانية، وأطلقت العنان للمبشرين على مختلف أنواعهم يقومون بعمليات المسخ والتشويه ضد العناصر المكونة لشخصيتنا العربية الإسلامية، بعد كل ذلك فقط وجدت السيطرة طريقها إلى المجالات الحيوية المختلفة".[2]

وعليه فإن فترة الاستعمار وما يميزها من "استبداد واستغلال إنما كانت فترة صراع ثقافي بالدرجة الأولى، لأن المعمر كان يعرف بأن شل الذهنية الجزائرية ومسخ الإنسان بعد سلخه الشخصية الوطنية هما اللذان سيسمحان بمواصلة ممارسة السيطرة في سائر الميادين وعلى مختلف الأصعدة". [3]

[1]- محمد العربي الزبيري: الغزو الثقافي في الجزائر 1962-1982. مجلة الرؤيا. العدد 02.. ص: 08.

[2]- المرجع نفسه ، ص9

[3]- المرجع السابق ، ص10

يتضح أنّ اندلا ع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954 لم يكن حدثًا مفاجئًا، بل جاء نتيجة مسار طويل من المقاومة التي لم تنقطع منذ عهد الأمير عبد القادر، وتراكمات من القمع والاستعمار الشامل الذي مارسته فرنسا في الجزائر. فقد تجاوز الاحتلال طابعه العسكري ليشمل غزوًا ثقافيًا استهدف مقومات الهوية الوطنية من دين ولغة وثقافة، في محاولة لطمس الشخصية الجزائرية وإحكام السيطرة على مختلف جوانب الحياة. غير أنّ هذه السياسات الاستعمارية، بدل أن تُضعف إرادة الشعب، أسهمت في تأجيج روح المقاومة وتعزيز الوعي بضرورة التحرر الشامل. ومن ثمّ، فإنّ الثورة الجزائرية تمثل ردًّا حضاريًا واعيًا على مشروع استعماري استهدف الإنسان والأرض معًا، وسعت إلى استعادة الكيان الوطني وبناء هوية مستقلة.

الصراع الذي دار بين الشعب الجزائري وبين المستعمر الفرنسي كان "محوره قضيتي الهوية" و "الانتماء" إذ تركزت جهود فرنسا محاولة فصل الجزائر عن الأمة العربية حتى لا تنتمي لهذه الأمة، بل وإدماجها في أمة أخرى، كذلك فإن المقاومة الجزائرية في المقابل ركزت اهتمامها على إبراز الشخصية الوطنية وتحقيق الاستقلال وهذا هو مفهوم "الهوية" ثم الارتباط بالوطن العربي، وهذا هو "الانتماء".[1]

وإذا كان "عنصر الهوية يرتبط بالواقع الوطني ونضاله وتاريخه، فإن العنصر الثاني يرتبط بالتاريخ العربي الإسلامي، وإثبات هذين العنصرين هو نفي لما عداهما من أضداد، سواء كان ارتباطا أو إدماجا أو انتماء، أو فرنسة أو احتلالا، وبكلمة واحدة تحقيق هذين العنصرين هو تحقيق الحرية والعروبة للشعب الجزائري.[2]

ومن أجل الحفاظ على هذه الهوية العربية الإسلامية، وهذا الانتماء الحضاري العربي الإسلامي تنوعت أساليب الثورة وأشكالها، فلم يعد السلاح والرصاص وحده هو السبيل الوحيد في الخلاص من هذا الاستعمار البغيض، فقد أتيح الدور أيضا للكلمة التي كانت أشد قوة وأكثر تأثيرا. والواقع أن الأدب بنثره وشعره أحد أهم وسائل الثورة، وأكثرها فعالية، ما دام يلتقي معها في الغاية، وإذا كان هدفه تغيير الحياة، فإن أية ثورة لا تقوم إلا لذات السبب، وإن اختلفت الوسائل وتباينت الأساليب.

[1]- عبد الله ركيبي : الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى. 1982. ص: 49.

[2]-المرجع نفسه ، ص49.

من هنا يتبيّن أنّ الصراع بين الشعب الجزائري والاستعمار الفرنسي كان في جوهره صراعًا حول الهوية والانتماء، حيث سعى المستعمر إلى طمس الشخصية الوطنية وفصل الجزائر عن عمقها العربي الإسلامي، في حين عملت المقاومة على تثبيت هذين البعدين باعتبارهما أساس الحرية والاستقلال. وقد أدرك الجزائريون أنّ الحفاظ على الهوية لا يقتصر على الكفاح المسلح فقط، بل يشمل أيضًا النضال الثقافي والفكري، فبرز دور الأدب، وخاصة الشعر، كوسيلة فعّالة في دعم الثورة ونشر الوعي الوطني. وهكذا، شكّل الأدب إلى جانب السلاح جبهة مقاومة متكاملة، تسعى إلى تغيير الواقع وترسيخ مقومات الشخصية الجزائرية الأصيلة.

2) الشعر كأداة نضال وتوثيق في الثورة الجزائرية:

قد لعب الأدباء والشعراء خاصة دور الجندي المجهول في كل ثورة نشبت على الأرض، فكانوا الممهدين لها، والداعين إليها، والمسجلين لكل أحداثها ووقائعها ولما اندلعت الثورة التحريرية في ليلة أول نوفمبر 1954، شارك فيها الشعب الجزائري رجالا ونساء وشبانا، وذلك في والبوادي" والشعراء هم الآخرون لم يتخلفوا عن باقي المواطنين في الجهاد، فإن لم يَقُمَ بعضهم على مجابهة العدو بالحديد والنار، فقد عمد إلى الكلمة التي ليست أقل نفوذا وفعالية من الرصاص والقنابل، كانوا دوما بجانب مواطنيهم يقاسمونهم محنهم ويواسونهم ويضمدون جروحهم بالكلمة المشجعة المعسولة". [1]

وقد كانت "دوواين شعراء تلك الآونة حافلة بما قاساه الشعب من مآس من طرف العدو الغشوم، فهي مرآة صادقة لتطور أوضاع المقاومة، فلم يقع حادث خطير إلا وسجلوه في شعرهم وأذاعوه بواسطة الجريدة أو المذياع، فجميع الانتصارات التي كان المجاهدون يحصلون عليها وجميع الفظائع التي كان العدو يرتكبها إلا وعرفها العالم بأسره، أنباء حركت من ناحية ضمير من التزموا الحياد فيما يتعلق بالمشكل الجزائري، فأعادوا النظر في موقفهم منه، وأيقظت من ناحية ثانية، الشعوب المظلومة وأثارت فيها كوامن الرفض والرغبة في التحرر وكسب الكرامة". [2]

[1]- – محمد الطمار : مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر . ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2005. ص: 24.

[2]- المرجع نفسه، ص: 24.

إذا كانت "مقدرة الفنان وإمكانيات الخلق هي التي تعطي العمل الفني درجة تميزه وتفوقه، فإن الخيال وإن كان جزءا أساسيا من عناصر العمل الأدبي، إلا أنه لا يستطيع وحده أن يخلق شخصيات نمطية يتجسد فيها ما يضطرب في مرحلة تاريخية محددة من الأحداث التي تزلزل الضمير الإنساني [1]".

ومن هنا "كانت ثورة الشعب الجزائري تتويجا للآلام التي كابدها الشعب الجزائري، بحيث أصبح أدباء الجزائر جزءا رئيسيا من جهة القتال، وأصبح الموضوع الذي تدور حوله جميع أعمالهم هو حرب التحرير ومقاومة المستعمر ، رفضا للاستغلال والتسلط، وقد أدرك العدو نفسه ذلك، فراح يتفنن في استكشاف فنون التعذيب والتنكيل وإبداع الوسائل التي تكفل له في نظره على الأقل القضاء على المقومات الشخصية والتاريخية التي بدونها يستحيل الصمود".[2]

يتضح أنّ الأدباء والشعراء في الثورة التحريرية الجزائرية لم يكونوا بعيدين عن ميدان الكفاح، بل أدّوا دورًا نضاليًا مهمًا من خلال الكلمة التي كانت سلاحًا مؤثرًا إلى جانب السلاح المادي. فقد عبّروا عن معاناة الشعب، وسجّلوا أحداث الثورة، وأسهموا في نشر الوعي وتحفيز روح المقاومة، حتى أصبح الأدب جزءًا لا يتجزأ من مسار الثورة وأحد وسائلها الفعّالة في مواجهة الاستعمار.

والشعر أكثر أشكال الأدب طواعية ومرونة، وأقدرها على التعبير عن مكنونات النفس من جهة، وعن احتواء الثورات من جهة أخرى. فالشعر "هو الذي حمل رسالة الثورة قبل أن تظهر القصة والرواية في الأدب الجزائري، وأن الشعراء هم الذين أشعلوا نارها ، وكانوا لسانها الصادق الذي بلغها أحسن تبليغ إلى الجماهير الثائرة بعد أن انفعلوا بها وتجاوبوا معها". [3]

إن الشعر "نشاط إنساني ممتاز معقد، والإنسان كائن يعاني حركية الوجود، ويعيش الأمر الواقع، ويواجه التحدي الدائم، ويضطرب في إطار نظام كوني شامل، فالشعر لسان هذا الإنسان الصادق الذي يترجم نبضات قلبه بحروف متوهجة مدادها يسري في عروق الحياة، والشعر رؤيا جمالية في قالب فني، والثورة فعل واع له قوانينه الخاصة به". [4]

---

[1]- عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر. ط1. دار الجيل. بيروت. 1991. ص: 63.

[2]- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[3]-إبراهيم رماني ، أوراق النقد الأدبي ، ص33.

[4]نفسه ، ص41-42.

فالشعر هو الذي "يجمع حروف الأبجدية الضائعة المشتتة، فينظمها في قالب سحري، تؤدي به معنى مشحونا مؤثرا ينتج عنه فعل ثوري. والثورة هي مادة الاحتراق التي تجعل الكتابة الشعرية أكثر التهابا". [1]

وبالتالي فإن الشعر يكتب الثورة، ويشعلها كما أنَّ الثورة تفتح مجال الإبداع والخلق للشاعر ، فهي التي تصنع له الأفكار، وتخلق له الرؤى، فالعلاقة بينهما وطيدة وعميقة، ذلك أن الشاعر إنسان يعيش واقع مجتمعه وآفاقه، بل هو كتلة أحاسيس وموهبة تؤهله لأن يكون أكثر انفعالا من الإنسان العادي، مع ما يطرأ من أحداث ومستجدات كان ولا يزال "أدب الحروب والمعارك سجلا لما يجري فيها من دمار إنساني، وما يسجل فيها من بطولات وتضحيات، منذ أن بدأ الصراع بين القبائل والشعوب، والشعراء هم ضمير الأمة الحي ولسان حالها يعبرون عن آلامها وانتكاساتها وانتصاراتها، ومن هنا نرى أن فن الشعر هو أكثر الفنون تسجيلا للحرب والسلام، بل ولعل الشعر ظهر أول ما ظهر الصراع والحروب بين الإنسان وأخيه الإنسان وفي أحيان كان الشاعر هو المحرض على اشتعالها، نافخا انفعالاته من حب وكره، ورأفة وقسوة في طرفي الصراع". [2] ولنا في التراث الشعري العربي والإنساني الحجة والبرهان ماذا كنا سنعرف عن حروب طروادة لولا هذه الملاحم الشعرية ، وماذا كنا سنعرف أيضا عن حروب البسوس، وداحس والغبراء، والمناوشات بين قبيلتي عبس وذبيان، لولا ديوان الشعر العربي القديم". [3]

"والعلاقة بين الشعر والحياة علاقة جدلية، علاقة أثر وتأثير، فالشاعر إن لم يحرض على قيام الثورة وقد يفعل من خلال تعبئة الشعوب المقهورة على رد القهر ، فإنه يأخذ منها مادته فتخلد أحداثها ومآسيها بخلود الشعر".[4]

[1]- إبراهيم رماني ، أوراق النقد الأدبي ، ص45.

[2]- أحسن مزدور : الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث. ط1. مكتبة الآداب. القاهرة. 2005. ص: 71.

[3]- المرجع نفسه ، ص71.

[4]-المرجع السابق، ص71.

والشاعر الجزائري لم يشذ عن هذه القاعدة، فهو شاعر ومواطن جزائري في الوقت نفسه، يؤثر ويتأثر والثورة الجزائرية حدث تاريخي عظيم، وأهم موضوع ألهم الشعراء وفتق مواهبهم، وأطلق ألسنتهم، فكانت منهلا نهل منه معظم الشعراء، تسجيلا لأحداثها، وتخليدا لبطولاتها وانتصاراتها.

"وقد رافق الشعر الثورة التحريرية منذ انطلاقتها الأولى، حيث صور شعراء الثورة وحشية الجيش الفرنسي، وأعماله الوحشية، فقد قتل الأطفال، واعتدى على حرمة النسوة، وأعدم، وشنق الكبار، وملأ السجون بالمناضلين، وأباد ،قرى، وأحرق المزارع والديار، ورغم كل هذا فإن الشعب الجزائري آمن بحتمية انكسار الوحش الظالم".[1]

وكان الشعر متجاوبا إلا أبعد التجاوب مع الثورة، فقد التزم التزاما كاملا للتعبير عن عمقها ووقف مدافعا عن الأرض والإنسان، وكان في ذلك صادقا أشد الصدق،" إذ حين اشتعلت الثورة، أذكت العواطف، وهزت المشاعر الأقلام، التي كانت من قبل مكبوتة وفتحت أمام الشعراء آفاقا ما كان يستطيع أن يحلم بها لولا الدم ، النار والنضال ، وقد تفجرت نتيجة لذلك عواطف الشعراء بشعرثوري عارم، يسجل انتصارات الثورة، ويبشر المحزونين والمتألمين، ويضمد الجراح، ويكفكفي .. الدموع، ويخلد الشهداء، والأبطال، والوقائع".[2]

إن علاقة الشعراء الجزائريين بالثورة التحريرية الكبرى هي علاقة الروح بالجسد، فقد كانوا

م المصدر الذي استلهم منه الشعب الجزائري المدد المعنوي الذي تسلح به في جهاده المرير الذي أعلن عنه في نوفمبر 54 ، وإليهم يرجع الفضل في توعية الشعب، وتمسكه بشخصيته وحفظ كيانه.

وعليه، نستنتج أنّ الشعر في الثورة التحريرية الجزائرية لم يكن مجرد تعبير فني، بل كان وسيلة نضالية فعّالة رافقت الكفاح وساهمت في تأجيج روح المقاومة. فقد جسّد معاناة الشعب، وخلّد بطولاته، ونقل صورة الثورة إلى الداخل والخارج، كما أسهم في توعية الجماهير وترسيخ قيم الحرية والانتماء. ومن ثمّ، فإن العلاقة بين الشعر والثورة علاقة تكامل وتأثير متبادل، حيث استمدّ الشعر مادته من الثورة، وفي المقابل منحها الزخم المعنوي الذي دعم مسيرتها التحررية.

3) تجليات الوعي الثوري في الشعر الجزائري الحديث:

[1]- شريبط أحمد شريبط دراسات ومقالات في الأدب الجزائري الحديث.. ص: 97.

[2]-المرجع نفسه ، ص28.

"يُعدّ الشعر الجزائري الحديث مرآة صادقة للواقع الذي عاشه الشعب خلال فترة الاستعمار الفرنسي، إذ لم يقتصر دوره على التعبير الجمالي فحسب، بل تجاوز ذلك ليصبح وسيلة لنقل المعاناة وتسجيل مظاهر القهر والظلم. كما شكّل الشعر منبرًا للوعي الوطني والثوري، حيث عبّر الشعراء من خلاله عن رفضهم للاستعمار ودعوا إلى المقاومة والنضال من أجل الحرية والاستقلال،"[1]فكان بذلك جزءًا مهمًا من مسار الثورة التحريرية وصوتًا يعكس آلام الشعب وآماله ، ونجد عدة شعراء ذهبوا للشعر للتعبير عن الثورة الجزائرية ومن هؤلاء الشعراء الشاعر محمد العيد آل خليفة الذي كان له موقف واضح من الاستعمار ومن الثورة، فقد تنبأ بحدوثها بوقت قريب، كما تنبأ بإشراق فجر الثورة من "الأوراس"، فيبعث تنبأته شعرا للشعب الجزائر، في قصيدته "رعد البشائر " التي ألقاها بباتنة على إثر الدروس التي قام بها البشير الإبراهيمي يقول فيها:

بباتنة رعد البشائر لعلعا فأطرب أوراسا بها والشلعلعا

وجادت غيوث البر كل رحابها فجادت وعادت للمبرات مرتعا

وأخصبت الآمال فيها وأينعت كما أخصب الروض الجديب

وأينعا بمدرسة دينية عربية أعدت لإرواء المدارك منبعا [2]

ويقول أيضا:

وما الحر إلا من تيمم معهد اليقتبس العلم الصحيح فينفعا

وإلا من اختاض الوغى في كتيبة ليفتح مصرا أو يلاقي مصرعا

فيا أيها الشعب الذليل أما ترى لجارك هما بالسيادة مولعا [3]

[1]- غنية غرابي ، صدى الثورة التحريرية في الشعر العربي الحديث ، حوليات الآداب واللغات ، مجلد 5 ، عدد 12 سبتمبر 2018 ، ص191.

[2]- محمد العيد آل خليفة الديوان .موفم للنشر .الجزائر . 2010. ص: 185.

[3]-المصدر نفسه ، ص 187.

فالشاعر يقدم مفهومه للإنسان الحر، فهو الذي يتيمم معهدا لاقتباس العلم النافع، وهو الذي يخوض ساحات الوغى في كتيبة ليحرر البلاد أو يلقى الشهادة، وهذا هو الطريق الذي ينبغي على الشعب الجزائري أن يسلكه.

يمكن القول أن شعر محمد العيد آل خليفة كان من الشعراء الذين استشرفوا بوعي مبكر بوادر الثورة التحريرية، وجسّدوا في شعرهم روح المقاومة والتحرر. فقد ارتبطت رؤيته للحرية بالعلم والجهاد معًا، حيث اعتبر الإنسان الحر هو المتسلّح بالمعرفة والمشارك في الدفاع عن وطنه. ومن ثمّ، فإن شعره لم يكن مجرد تعبير وجداني، بل كان خطابًا توجيهيًا يهيئ الشعب الجزائري لمرحلة النضال، ويؤكد ضرورة الجمع بين الوعي العلمي والكفاح الوطني لتحقيق السيادة والاستقلال.

يواصل الشاعر في شحذ الهمم، والدعوة إلى الثورة ضد المستعمر الدخيل، فيقول في قصيدته "يا قوم هبوا":

يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم فالعمر ساعات تمر عجالا

الأسر طال بكم فطال عناؤكم فكوا القيود وحطموا الأغلال

والشعب ضج من المظالم فانشدوا حرية تحميه واستقلالا [1]

فالشاعر يدعو الشعب الجزائري إلى الثورة في وجه المستعمر الفرنسي فقد ضاق ذرعا به وبظلمه، لذلك لابد من تحطيم القيود والأغلال لتحقيق الحرية والاستقلال ونيل المراد، ولا يكون ذلك إلا بالثورة والتوكل على الله سبحانه وتعالى.

لقد طغى على شعر محمد العيد آل خليفة الوعي الوطني والحس الثوري، وانطلق شعره

يهتف بحب الجزائر، ويوقظ الهمم ، ويثير الحماس، مترنما بمعاني الجهاد، والثورة والحرية، والوطن...، ومشيدا بدور جيش التحرير وجنوده الأشاوس، يقول:

نحن جيش التحرير جند النضال نحن أسد الفدى نمور النزال

[1]- محمد العيد آل خليفة الديوان،موفم للنشر،الجزائر، 2010م، ص 340/339.

دمـدم الطبل للنفير فثرنا وهززنـا الـلاد كالزلزال

واتخذنا من الجبال قلاعا نقرع السمع بالصدى كالجبال[1]

لقد كان شعر محمد العيد آل خليفة شعر مقاومة وثورة، من أجل تحطيم قيود الاستعمار، فبعث في الشعب، روح الوطنية والمقاومة من أجل اقتلاع جذور الظلم والطغيان، وتطهير الأرض من هذا المستعمر الذي خيم ليله على الجزائر فكان شعره صدى لهذه المشاعر والأحاسيس وترجمة لها، ويظهر ذلك من خلال إخلاصه لوطنه ولأصالته العربية الإسلامية «فهو كمعظم إخوانه من الجزائريين يعيش حياة لم يكن يحياها ملكا لنفسه، وإنما كان يحياها جنديا إلى جانب أمته في صراعها مع المعتدين الغاصبين». [2]

إن الثورة التحريرية فتحت صفحات جديدة في الشعر الجزائري كما ولدت معها أسماء شعرية لشعراء كثيرين عاشوا الثورة وعايشوها وكتبوا عنها، مما جعل شعرهم سجلا دقيقا لأهم قضايا الثورة وحوادثها .

لقد كان شعر محمد العيد آل خليفة مثّل خطابًا ثوريًا واضحًا، إذ وظّف شعره في الدعوة إلى التحرر من الاستعمار وتحفيز الشعب الجزائري على الثورة وكسر قيود الظلم. فقد جمع شعره بين الحس الوطني والوعي الثوري، فكان وسيلة للتعبئة وبعث روح المقاومة في النفوس، كما ساهم في تمجيد نضال جيش التحرير وتخليد معاني الجهاد والفداء. ومن ثمّ، فإن شعره يُعدّ تعبيرًا صادقًا عن معاناة الشعب الجزائري وطموحه إلى الحرية والاستقلال، وسجلًا أدبيًا يعكس تفاعل الشعر مع أحداث الثورة التحريرية

ومن هذه الأسماء، اسم لشاعر اقترن اسمه بالثورة، وإذا كنا بصدد الحديث عن الثورة التحريرية، فلا يمكن أن ننسى شاعرها مفدي زكريا ، فكلما ذكرت الثورة ذكر معها اسم مفدي زكريا، فقد عاصرها وعاش أحادثها مناضلا في صفوفها وشاعرا لها، وهو الذي وهب حياته وشعره من أجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة، وأبدع شعرا ثوريا تغنى بالثورة وأمجادها، وخلد تاريخ الجزائر .

[1]- محمد العيد آل خليفة الديوان ،ص427.

[2]- محمد بن سمينة : محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته ديوان المطبوعات الجزائر . ص: 137.

وإذا كانت "حرب طروادة باعثة لهوميروس على إنشاء "الإلياذة" والحروب العربية في الجاهلية الأولى موحية بتأليف ملحمة عنترة المشهورة، فإن تاريخ الجزائر الطويل الحافل بالأحداث والبطولات المشهورة، والروائع يصلح لأن يكون ملحمة شعرية من الطراز الأول...، هذه الإلياذة أو الألفية التي تخلد تاريخ الجزائر الحافل بالمقاومة المتصلة منذ قرون عدة، وبالبطولات الرائعة والأمجاد الباقية، والرجال العظماء". [1]

والإلياذة أحسن سجل لتاريخ الجزائر حتى اليوم، أي أحسن كتاب فيه، وعنه، وله، وحتى إذا ما كتب هذا التاريخ يوما ما بصفة كاملة، شاملة، فستبقى إلياذة الجزائر، أروع تاريخ للجزائر وأكثره وقعا في النفوس، وأسهله على الحفظ والتذكر، والاستشهاد في معرض الاستشهاد والاحتجاج".[2] يقول صاحبها:

جزائر أبدعها ذو الجلال وصور طينتها من نضال

بلاد تمازح عشاقها وتمنع عنهم لذيذ الوصال

فما انكفأت ثورة في السهو لا ولا انطفأت ثورة في الجبال

ولم يحن أوراس هامته ولا هدأت عاصفات الرمال [3]

لقد كان الشعر حاضرا في كل" معركة ، مدويا بصوته الرشاش، يلاحق الأحداث الصارخة، ويخلد البطولات الأسطورية، ويصور إرادة شعب استجاب له القدر، ويمثل شاشة تلفزيون، كما يقول مفدي زكريا الذي يعد ديوانه اللهب المقدس" ديوان الثورة الجزائرية ونموذجا لثورة الشعر الذي لم يكنيعنى به الشعراء من ناحية الفن والصناعة". [4]

وإنما كانت وظيفته كما يقول أيضا : "التعبئة الثورية، وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي، غمستها في جراحاته المطلولة"[5] فكان بحق لهيب ثورة الجزائر، ونارهاالمقدسة.

---

[1]-إبراهيم ماني ، أوراق في النقد الأدبي ، ص75/74.

[2]- مفدي زكريا : إلياذة الجزائر . المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر .1987. ص: 13.

[3]-المصدر نفسه ، ص60.

[4]-إبراهيم رماني ،أوؤاق النقد الأدبي ، 57.

[5]- – مفدي زكريا : اللهب المقدس. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. 2007. ص: 07.

لقد رفض "مفدي زكريا أسلوب الليونة والمهادنة مع العدو المحتل، ولا بد له من سلاح آخر، فحد السيف، والنار هو الذي يفي بالغرض ويخرس كل الألسنة، يقول:

السيف أصدق لهجة من أحرف كتبت، فكان بيانها، الإبهام

والنـار أصـدق حجة فاكتب بها ما شئت، تصعق عندها الأحلام

إن الصحائف، للصفائح أمرهـا والحبر حرب والكلامكلام[1]

وإلى جانب السيف يرى "مفدي زكريا" أن الرشاش أيضا له دور كبير في الثورة، ويفي بالغرض، فلا يتردد أن يسبغ عليه العظمة والألوهية، ويسجد له سجدة شكر وتقدير وإجلال، وأتبعها بعبارات مدوية مجلجلة تعبر عن الانفعال بالثورة والتحمس لها، يقول:

وتكلم الرشاش، جل جلال فاهتزت الدنيا وضج النبر

ونزلت آياته لهابة لواحة أصغى لها المستهتر

والنار للألم المبـرح بلســم يكوى بها العظ الكسير فيجبر

والنار في مس الجنون عزيمة يصلى بها المستعمر المتكبر [2]

إنّ الشاعر مفدي زكريا يُعدّ من أبرز شعراء الثورة التحريرية، إذ ارتبط اسمه بها ارتباطًا وثيقًا، فكان مناضلًا وشاعرًا في آن واحد، سخّر شعره لتخليد كفاح الشعب الجزائري وتمجيد بطولاته. وقد تحوّل في شعره إلى مؤرخ شعري للثورة، حيث جسّد أحداثها ومعاركها، وعبّر عن روحها النضالية من خلال لغة ثورية قوية تدعو إلى المقاومة وترفض كل أشكال المهادنة. كما وظّف الرموز والأسلحة في شعره لإبراز قوة الثورة وعظمتها، مما جعل تجربته الشعرية تمثل وثيقة أدبية حية تُخلّد تاريخ الجزائر الثوري وتعبّر عن وعيها الوطني العميق.

لقد دفعت الجزائر ضريبة غالية من الدم من أجل الخلاص من براثن المستعمر الفرنسي، فجادت ولم تبخل بكل ما تملك، فقدمت القرابين في سبيل الحرية، وتدافعت قوافل الشهداء، وروت دماءهم الطاهرة كل شبر من هذه الأرض الطيبة ، ومفدي زكريا كعادته لم يفوت الفرصة، فصدح بما جادت

[1]- – مفدي زكريا : اللهب المقدس، ص41-42.

[2]- مفدي زكرياء، اللهب المقدس ، ص116.

به القريحة من شعر مصورا لتلك الملاحم التاريخية، ومشيدا بأولئك الشهداء وممجدا لهم، سواء الذين استشهدوا في ساحات الوغى، أو في سجون المستعمر الفرنسي، خاصة وأنه . حياة السجون والزنزانات.

و "شاعرنا لم يكن حديثه عن الشهداء تصورا، وإنما رأى بأم عينيه كيف يؤخذ المناضل السي. المقصلة، أو كيف يرمي بالرصاص، ولا شك في أنه استطاع في تشخيصه أن يربط بين القضية من جهة وبين الاستشهاد من أجلها من جهة ثانية، فهو وجها لوجه أمام الشهيد "أحمد زبانة" ساعة تنفيذ حكم الإعدام وذلك في القاعة التاسعة داخل سجن (بربروس) ليلة 18 جوان 1956".[1]

ذاك هو "الذبيح الصاعد" الذي قال فيه:

قام يختال كالمسيح وئيـدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا

شامخا أنفه جلالا وتيها رافعا رأسه يناجي الخلود

وامتطى مذبح البطولة معـ راجا، ووافي السماء يرجو المزيدا

وتعالى مثل المؤذن يتلو كلمـات الهـدى ويدعو الرقـودا[2]

فالأبيات لا أثر فيها "للبكاء والعويل على هذا البطل، وإنما نجد فيها التحدي الصارخ لقوى الظلم والطغيان، وتبدو فيها الموت طريقا إلى الحياة الكريمة، حياة يعطي فيها الشهداء دروسا في المقاصل، فغدوا مسارعين إلى ساحة الشرف بدافع الحب للوطن الذي يعز عليهم أن يروه يعيش منتهك الحرمات، منكس العلم في دنيا تشرق فيها شمس الحرية على دنيا العالمين، ولذلك أصبح زبانة شهيدا للثورة، وصار مفدي شاهدا عليها".[3]

لقد كان "مفدي زكريا شاعر الثورة التحريرية وحاديها، يغني لها ويتغى بها، فأبدع شعرا ثوريا رافق كل أحداث الثورة ، مصورا ومسجلا لكل أمجادها وبطولاتها كما كان شعره خدمة وحبالهذا الوطن المجيد، يقول:

---

[1]- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث مطبعة اتحاد الكتاب العرب دمشق. 1996. ص: 303.

[2]-مفدي زكرياء ، اللهب المقدس ، ص17-18-19.

[3]- واس بري: شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم. ديوان المطبوعات الجامعة. الجزائر.ص: 90.

حبست شعري وإلهامي على وطني فانساب ينشر في الدنيا معالينا

وهمت بالثورة الكبرى أساوقها أهز في الثورة الكبرى رواسينا

حلقت كالنسر في آفاق حاضرنا وغصت كالسحر في أعماق ماضينا[1]

هكذا عاش مفدي زكريا "لوطنه الذي أحبه، فخدمه بكل ما أوتي من قوة فكرية أو طاقة إبداعية، ودهاء سياسي، فقدم بذلك ما يعود على الثورة الجزائرية بما يفيدها في الهيئات العربية، ويزيد من أهميتها في المحافل الدولية". [2]

لقد عانت الجزائر من ويلات الاستعمار الفرنسي، ولولا الثورة المباركة لظلت تحت رحمته وسلطته، إلا أن هناك الكثير من الشعراء الذين سخروا شعرهم للذود عن البلاد والعباد، وكان منهم أيضا الشاعر أبو القاسم سعد الله الذي وقف مدافعا عن الجزائر ومساندا لثورتها أينما حل أو ارتحل، يقول:

بحق الذائدين عن التراب

ومن رفعوا اللواء إلى السحاب

وحق الشعب منتفضا جموحا

يرود النصر في قمم الروابي

لقد بعث الجزائر من جديد

عمالقة على الصم الصلاب[3]

لقد كان وقع صدمة الاحتلال الفرنسي كبيرا على الشعب الجزائري، إلا أن ذلك لم يفقده توازنه وثباته فقد جمع قواه من جديد ووحد الصف وثار على جيوش المحتل، من خلال ثورة منظمةومتماسكة..

وعليه فإنّ الثورة التحريرية الجزائرية قدّمت تضحيات جسيمة تمثّلت في الدماء الطاهرة التي روّت أرض الوطن، وكان للشعر دور بارز في تخليد هذه التضحيات وتمجيد الشهداء الذين سقطوا في ميادين

[1]- مفدي زكريا : اللهب المقدس. ص: 196–197.

[2]- حواس بري: شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم. ص: 45

[3]- أبو القاسم سعد الله : الزمن الأخضر . ط2. دار الغرب الإسلامي. الجزائر . 2005.ص 207.

القتال وفي سجون الاستعمار. وقد عبّر مفدي زكريا عن هذه البطولات بلغة شعرية ثورية جسّدت روح التحدي والصمود، حيث لم يكن وصفه للشهداء بكاءً أو رثاءً، بل تمجيدًا للفداء وربطًا عميقًا بين الموت في سبيل الوطن والحياة الكريمة. كما أسهم شعره في دعم الثورة وإبراز مكانتها، إلى جانب شعراء آخرين واصلوا الدفاع عن الجزائر بالكلمة، مما يجعل الشعر الجزائري شاهدًا حيًا على بطولات الشعب ومعاناته ونضاله من أجل الحرية والاستقلال.

ويعبر"سعد الله" عن معاناة الشعب الجزائري جراء جرائم المستعمر الفرنسي فيقول:

والشعب يسبح في الدموع

والبؤس يحتطب الجموع

والمبدأ الأسمى صريع

بين المخالب والنجيع

الثائرون على الطغاة يناضلون

والخائنون يقهقهون ويسخرون

ويرددون الخارجون المجرمون

سيحاكمون ويعدمون

والشعب تقهره الضرائب والسجون[1]

يرى الشاعر أنه لابد من مواجهة هذا الاستعمار ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الثورة، فراح يشقطريقه، داعيا لتحطيم القيود حيث يقول:

وصرخت في الجموع الذاهلات:

حطموا القيد وغنوا للحياة

وافتحوا نافذة الأفق الرحيبة

واعشقوا النور حياوات خصيبة

[1]- بو القاسم سعد الله : الزمن الأخضر. ص: 119-120.

بيد أني لم أجدهم في طريقي

يا رفيقي [1]

فالشاعر قد اختار طريقه عن وعي وإدراك ومسؤولية، فمأساة وطنه ومعاناته تجعله يرفض أن يسير في طريق غير طريق الثورة.

على غرار باقي الشعراء الجزائريين فإن "سعد الله" قد تأثر بالثورة التحريرية فكان شعره صدى لهذه الثورة، يبث الحماس في نفوس الجزائريين، ويدعو إلى الثورة، ويدعمها، فهو يتعهد بمواصلة الدرب والكفاح والنضال حتى يتحقق النصر والاستقلال يقول:

بالبطولات بروح الشهداء

بالشعارات بآلاف الضحايا

سوف لا ألقي السلاح

سوف لا تبرح كفي بندقية سوف لا يفرغ جيبي من رصاص

سوف لا يهدأ حقدي دون ثأري

سأظل الشعلة الحمراء في وجه عدوي

سأظل الطعنة النجلاء في ظهر عدوي

باسم أهداف الكفاح

سوف لا ألقي السلاح[2]

إن الثورة الجزائرية التي استطاعت أن تجعل من المستحيل ممكنا في تاريخ النضال العربي بل الإنساني، بتحديها لأقوى دولة استعمارية في ذلك الوقت بقوة صمودها وعظيم تضحياتها، قد تركت بالغ الأثر

[1]- أبو القاسم سعد الله : الزمن الأخضر ،ص140.

[2]- المصدر نفسه،ص283.

في نفوس الشعراء بما أثارت فيهم من مشاعر الاعتزاز والفخر ببطولات الثائر الجزائري أمام جحافل جنود الاستعمار المدجج بأعتى أسلحة الدمار .[1]

كما كانت درس" بليغا للدول الاستعمارية، فمهما كانت قوة المحتل الغاصب، ومهما طالت مدة سيطرته على الشعوب فلا بد من يوم آت لا ريب فيه سيخرج فيه ذليلا مهزوما فما ضاع حق وراءه طالب". [2]

لقد كانت الثورة التحريرية أعظم ثورة عرفتها البشرية، دفعت خلالها الجزائر ثمنا غاليا تمثل في مليون ونصف المليون شهيد من أجل حريتها واستقلالها. كما كان الشعر حاضرا يسجل ويؤرخ ، فكان الشاعر الجزائري لسان حال بلده، يدافع ويناضل بقلمه ، وقد أغرت هذه الثورة الكثير من الشعراء الجزائريين بالولوج إلى عالمها، فتسابقت الأقلام لتسجيل ما جادت به القريحة من شعر ونظم فأبدعت ملاحم شعرية خلدت تاريخ نضال الجزائر.

يتّضح أنّ شعر سعد الله يعكس بصدق معاناة الشعب الجزائري تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، حيث صوّر الواقع المأساوي الذي اتسم بالقهر والظلم والاضطهاد. وقد تحوّل هذا الألم في شعره إلى وعي ثوري يدعو إلى مقاومة الاستعمار وتحطيم القيود، مؤكدًا أن طريق الخلاص لا يكون إلا عبر الثورة والنضال. كما عبّر الشاعر عن التزامه الكامل بالقضية الوطنية واستعداده لمواصلة الكفاح حتى تحقيق النصر، مما يجعل شعره امتدادًا للثورة وصدىً لها، يسهم في تعبئة الوعي الوطني وتخليد تضحيات الشعب الجزائري.

[1]- أحسن مزدور : الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث. ص: 41.

[2]- أحسن مزدور : الثورة الجزائرية في الشعر المصري الحديث، ص105.

خلاصة:

ان الشعر الجزائري الحديث في ظل الثورة التحريرية كان جزءًا أصيلًا من مسار النضال الوطني، حيث لم يقتصر دوره على التعبير الفني، بل تحوّل إلى أداة مقاومة فاعلة ساهمت في التعبئة والتوعية وتخليد الأحداث. فقد عكس الشعر معاناة الشعب الجزائري تحت الاستعمار الفرنسي، وعبّر عن قضايا الهوية والانتماء، كما دعا إلى الثورة والتحرر، وخلّد بطولات الشهداء وتضحياتهم. ومن خلال نماذج شعرية بارزة، يتّضح أنّ الشعر الجزائري كان صوت الثورة ولسان حالها، يجمع بين التوثيق التاريخي والتحريض الثوري، مما جعله شاهدًا حيًا على مرحلة مفصلية في تاريخ الجزائر ومسهمًا في ترسيخ الوعي الوطني وبناء الهوية.

الفصل الثالث دراسة تطبيقية (الثورة والتحرر في كتابات أحمد رضا حوحو)

المجموعة القصصية / النموذج الأول

غادة أم القرى / النموذج ثاني

التعريف بالمؤلفين

أحمد رضا حوحو الأدبية/ أسلوبه/ مؤلفاته

المسار النظالي لدى الأديب

الحرية

أنموذج الإصلاح والبناء

قراءة في قصة الحمار الحكيم

- أنومذج غادة أم القرى

التعريف بالكتاب

أسلوب الكاتب

الثورة في الكتاب

خلاصة

تمهيد :

يُعدّ الأدب الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي وسيلةً من وسائل المقاومة الفكرية والثقافية، إذ عبّر الأدباء من خلاله عن معاناة الشعب الجزائري وتطلعاته نحو الحرية والإصلاح. ومن أبرز هؤلاء الأدباء أحمد رضا حوحو الذي سخّر قلمه للدفاع عن قضايا وطنه، فمزج في كتاباته بين البعد الفني والرسالة الإصلاحية والوطنية. وقد تناول في قصصه ورواياته موضوعات متعددة كالثورة، والحرية، والهوية، ونقد العادات الاجتماعية والاستعمار الثقافي، معتمدًا أسلوبًا يجمع بين السخرية والواقعية والنقد الاجتماعي. ومن هذا المنطلق، يسعى هذا الفصل إلى دراسة البعد الثوري والتحرري في كتابات أحمد رضا حوحو من خلال الوقوف عند بعض نماذجه الأدبية، للكشف عن رؤيته الإصلاحية ودوره في تنمية الوعي الوطني والاجتماعي.

- **لمحة عن حياة الأديب أحمد رضا حوحو:**

الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو من كبار الأدباء الذين اهتموا بالكتابة في مجال القصة والمسرح [1]"، ولد في 15 ديسمبر سنة 1910م ببلدة سيدي عقبة ببسكرة، التي تحمل اسم الفاتح العربي "عقبة بن نافع" وتضم ضريحه، وهو ابن محمد رضا حوحو شيخ عشيرة أولاد العربي وكبير أعيانها [2].

اكتسب حوحو ثقافة مزدوجة باللغتين العربية والفرنسية، إلا أنّه لم يتمكن من إتمام دراسته الثانوية في المدارس الفرنسية، فعاد إلى مسقط رأسه، حيث عمل موظفًا بسيطًا في مصلحة البريد[3].

منذ سنة 1934م انكبّ حوحو على القراءة والكتابة وحضور الدروس المسجدية لبعض شيوخ البلدة، ووسع ثقافته وتكوينه، فشغف بالتكوين الشخصي في ميدان الفكر والثقافة والأدب [4]، وهكذا بدأت ميولاته الأدبية والفنية تظهر، ثم انخرط في جمعية الشباب العقبي الثّقافية التي تأسست سنة 1929م وأصبح أمين سرّها وأحد أعضائها النّشطين، خاصة في مجال التمثيل المسرحي الذي كان يُشكّل النشاط الرئيسي للجمعية.[5]

فُوجئ ذات يوم من سنة 1934م بأبيه يخبره والأسرة كلّها بالاستعداد للسفر ومفارقة عشيرته وبلده، إذ يقول أحمد رضا في مذكراته: "... كان ذلك سنة 1935م، حيث دعاني والدي ذات مساء إلى مخدعه وصرّح لي برغبته الملحة في الهجرة إلى الحجاز، وقضاء حياته الباقية في المدينة، حيث يرغب أن

---

[1]- محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، دار كرداده للنشر والتوزيع، (د. ط)، الجزائر، 2013 ، ص: 173.

[2]- أحمد منور، مسرح الفرجة والتّضال في الجزائر "دراسة في أعمال رضا حوحو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 ، الجزائر، 2005، ص: 29.

[3]- المرجع نفسه، ص: 30.

[4]- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين من شهداء ثورة أول نوفمبر 1962-1954، دار الهدى ط4 الجزائر، 2008، ص: 78.

[5]- أحمد منور، مرجع سابق، ص: 30.

يُدفن هناك بعدما يقضي أيامه الأخيرة في هدوء شامل بعد هذه السنين الطوال التي قضاها في كفاح متواصل ونضال شديد، في سبيل سعادة قريته الصغيرة سيدي عقبة ... [1]

كما أن خوف الشيخ محمد حوحو المتزايد على ابنه من التأثر بالثقافة الفرنسية والقيم الغربية هو الذي دفعه للهجرة نحو الحجاز، إذ يؤكد أحمد حوحو أنّ خوف والده عليه كان صائبا وفي محله، عندما يُقيم تجربته الدراسية في المدارس الفرنسية قائلا: "لقد تربيت في مدارس أجنبية، واكترعت من علوم أجنبية كنت مغترا بها، ظانًا أنها هي العلوم التي يفتخر بها الإنسان وبها تكون سعادته [2]".

ولى أحمد رضا وجهه شطر الحجاز بصحبة أفراد أسرته، وما إن استقرّ به المقام في المدينة المنورة وطاب له العيش فيها، حتّى انضم إلى مدرسة العلوم الشرعية وعُيّن بها أستاذا بعد تخرجه منها سنة 1938م، كما شغل منصب سكرتير تحرير مجلة "المنهل[3]" الصادرة بالمدينة المنورة، التي تعتبر حافظة لذاكرة كتاب تلك المرحلة؛ أي نهاية الثلاثينات وبداية الأربعينات من القرن الماضي، وتظل مرجعا هاما خاصة في مجال القصة والشعر[4]، وقد أحدث هذا التوظيف منعطفا هاما في حياته العلمية وحافزا كبيرا لبروز نبوغه.

---

[1] من مذكرات شخصية لأحمد رضا حوحو ما زالت مخطوطة تحمل عنوان "عشر سنوات في الحجاز"، يبدو أنه كان ينوي أن يكتب كتابا بهذا العنوان، لكنّه توقف عن الكتابة بعد أن خط خمس ورقات فقط من أوراق دفتر مدرسي. انظر أحمد منور، المرجع نفسه، ص: 31.

[2] – صالح خرفي، أحمد رضا حوحو في الحجاز (1934-1946) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992،ص: 266.

[3] – ظهرت مجلة المنهل بالمدينة المنورة سنة 1937م، لصاحبها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وهي من أعتق المجلات العربية ظهورا وأمدها عمرا تميّزت بأعمالها الدينية والأدبية والثقافية، اختار مؤسسها صفوة الشباب من الكتاب والأدباء للكتابة فيها، كان ألمعهم الأديب أحمد رضا حوحو، وأوكل إليه كذلك منصب السكرتير الأول للمجلة، ليحمل حوحو على كاهله مسؤولية التحرير والإشراف على المواضيع، ففتحت له المنهل بذلك نافذة للإبداع الأدبي والإنتاج الفكري دامت عشر سنوات، حيث كانت المجلة ميدانه الواسع للتعبير عن آرائه وأفكاره الاجتماعية، إذ ترجم لها ما راق له من روائع الأدب الغربي والفرنسي منه بالخصوص. أنظر : . : محمد الصالح ،رمضان شخصيات ثقافية جزائرية

[4] – دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1 ، الجزائر، 2007، ص: 178. الطيب ولد لعروسي، أعلام من الأدب الجزائري، دار الحكمة للنشر ، د. ط)، الجزائر، 2009، ص:79.

تُظهر هذه المرحلة من حياة أحمد رضا حوحو مدى اجتهاده في طلب العلم وتطوير نفسه بالقراءة والتكوين الذاتي، كما تكشف عن تعلقه بالأدب والثقافة منذ شبابه. وقد كانت هجرته إلى الحجاز نقطة تحول مهمة في حياته، إذ ساعدته على تنمية قدراته العلمية والأدبية، فبرز اسمه في مجال التعليم والصحافة والأدب.

بعد عشرية كاملة قضاها في الحجاز يحذوه الأمل في أن يجد وطنه الذي تركه بائسا عند هجرته قد تحسن حاله، لكنه وجد دار لقمان على حالها، فالاستعمار الجاثم على كاهله حرمه من كل نهوض أو ترق، الأمر الذي صدمه وأدخل في نفسه الحسرة والألم، مثلما هو واضح في قوله: "... قلبت نظري في هذه الأمة... فوجدتها جاهلة فقيرة... تعيش في سلسلة متواصلة الحلقات من المهانة والظّلم ..والبؤس [1]انضم حوحو لجمعية العلماء وعُيّن كاتبا عاما لمعهد الشيخ ابن باديس بقسنطينة الذي تأسس سنة 1947م[2].

وبذلك وجد نفسه على موعد مع التاريخ، كمعلم مصلح، ليسخر قلمه وجهده الأدبي والفكري في سبيل رسالة الإصلاح والتغيير المنشود الذي وضع أسسه الشيخ ابن باديس ورفاقه منذ تأسيس الجمعية غايته المثلى معالجة ادواء المجتمع الجزائري فكريًا وثقافيا ومواجهة آلة المسخ الاستعمارية.

من هنا نرى أن حب أحمد رضا حوحو لوطنه وشعوره بالمسؤولية تجاه شعبه، إذ عاد إلى الجزائر رغم استقراره في الحجاز ليشارك في حركة الإصلاح إلى جانب جمعية العلماء. كما تكشف عن تأثره بواقع الجزائر تحت الاستعمار، مما دفعه إلى تسخير فكره وقلمه لخدمة المجتمع والدفاع عن هويته وثقافته.

---

[1]- أحمد رضا حوحو، "مع بوشكين، البصائر، السلسلة الثانية الجزائر السنة الخامسة، العدد: 218، 20 فيفري 1953، ص: 07.

[2]- تأسس المعهد بقسنطينة سنة 1947م من قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، استكمالا لمسار طلبتها التعليمي؛ فكان بمثابة ثانوية عامة يُكمل فيها التلميذ تعليمه الأول حيث يتدرب على الخطابة والكتابة، ليُرسل فيما بعد لمواصلة تعليمه العالي إما إلى الزيتونة أو القرويين أو الأزهر أو سوريا أو العراق. سُمّي المعهد باسم العلامة ابن باديس رائد النهضة العربية الجزائرية اعترافا بأفضاله ومجهوداته على الأمة، وقد ساهمت جريدة البصائر في دعم ميزانيته، حيث دأبت على تخصيص عدد كامل من كل سنة لفائدة نشاطاته، حتى بلغ عدد الأساتذة بالمعهد 15 أستاذا يُدرسون العلوم الدينية واللغوية والاجتماعية والعلوم الرياضية والطبيعية. أنظر : الحسين عزة، معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ودوره في نشر التعليم العربي (1947-1957)، مجلة الابراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، برج بوعريريج (الجزائر)، العدد الأول، جانفي 2020، ص: 143 وما بعده

2. انضمامه إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

بعد عودة أحمد رضا حوحو إلى أرض الوطن اختار مدينة قسنطينة لإقامته، انضم لجمعية العلماء وصار من أبرز أعضائها وهي في مرحلتها الثانية، وكان قد بلغه عنها الكثير من أخبارها وأنشطتها وهو في الحجاز، فكانت الجمعية بمثابة المرأة العاكسة لأفكاره وميولاته الإصلاحية[1]".

عيّن حوحو مديرا لمدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة سنة 1946م، والتي كان قد أسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس نفسه، مكث بها حوالي سنة ثم انتدب لإدارة مدرسة التهذيب بمدينة "شاطودان[2]" (شلغوم العيد (حاليا)، كما تم انتخابه عضوا عاملا في المجلس الإداري لجمعية العلماء، وعضوا في مكتب لجنة التعليم العليا التي تشرف على مدارس الجمعية للتعليم العربي الحر. [3]كل هذا يدل على المكانة المرموقة التي احتلها أحمد رضا في الجمعية، خصوصا وأنه كان يحمل ثقافة مزدوجة ويتقن العمل الإداري الذي باشره في سيدي عقبة وفي مكة المكرمة.[4]

لما فتح معهد ابن باديس أبوابه سنة 1947م، كان حوحو يرى فيه النور الذي انبعث في وسط الظلام الحالك، فتولّى به شؤون الأمانة العامة؛ وكان من مهامه إعداد البرامج السنوية للمعهد، وتفرغ للصحافة والأدب والمساهمة في إبراز الشخصية العربية للجزائر من خلال التجربة الفنية،[5] وما إن عادت البصائر للظهور في سلسلتها الثانية حتى عاد حوحو للكتابة الصحفية بعد أن انقطع عن ذلك لفترة نتيجة ظروف انتقاله إلى الجزائر، وإلى جانب نشاطه الإداري والصحفي مع العلماء، أخذ يتطلع لنشاطات أخرى أدبية فنية ووطنية إصلاحية.

ومنه نستنتج المكانة المهمة التي حظي بها أحمد رضا حوحو داخل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ استطاع بفضل ثقافته الواسعة وخبرته الإدارية أن يساهم في خدمة التعليم والصحافة والإصلاح.

---

[1]- أسامة حوحو، الأستاذ أحمد رضا حوحو حياته وآثاره (1910-1956) دراسة تاريخية رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، 2005/2006، ص: 41 .

[2] - أحمد منور، مرجع سابق، ص: 34.

[3]- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص: 100.

[4]أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري ،الحديث دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007 ،ص 87-86

[5]- محمد الصالح رمضان، مرجع سابق، ص: 180.

كما تكشف عن إخلاصه لقضايا وطنه وحرصه على إبراز الهوية العربية والإسلامية للجزائر من خلال الأدب والعمل الثقافي.

- **محطات في المسار النّضالي الوطني والإصلاحي:**

رؤيته ومواقفه من نشاطات الحركة الوطنية:

لم يسبق لأحمد حوحو خلال مساره النضالي أن انتسب لأي حزب سياسي، لقناعته الراسخة بعدم جدوى العمل الحزبي في ظل نظام استعماري غاشم، فهو لم يتخلف عن التعبير بصدق عن الواقع المزري الذي كانت تعيشه الجزائر في ظل الاستعمار وكان يرى أنّ الشعب الجزائري لم يعد يثق بالأحزاب بسبب صراعاتها

الضيقة التي لا تُساير طموح الشعب إلى الحرية والانعتاق، فنجده ينقد السياسة ورجالها نقدا لاذعا، ويصف الأحزاب الناشطة في الجزائر بعدم النضج السياسي ويعتبرها أحزاب مناسبات لا تنشط إلّا زمن الانتخابات، وأنها أحزاب لا تخدم السّياسة العامة للبلاد وتسعى لتحقيق مآربها الخاصة.[1]

ويختلف الوضع تماما في رؤيته لجمعية العلماء، فهو يعتبر أنها قدمت خدمات جليلة للجزائريين؛ فهي في نظره الوحيدة من بين الأحزاب والجمعيات التي حملت على عاتقها مهمة نشر الثقافة بين الجزائريين، وأنّ كلّ الأحزاب الجزائرية بمختلف توجّهاتها رفعت عن كاهلها هذه المهمة وألقتها على عاتق رجال الجمعية فأصبحت مسؤوليتها تجاه المجتمع الجزائري ثقيلة وجسيمة. [2]

وبهذا الخصوص، نجد أحمد رضا في البصائر يستميت في الدفاع عن رجال جمعية العلماء في كثير من المواقف، ويُبرز فيها كرهه الشديد لفرنسا، لعل أبرزها مقال قوي يدافع فيه عن رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي عندما اتهمته جريدة "لاباتايLa Bataille" على لسان رئيس تحريرها "كيلسي" بخرافة توجيه الإبراهيمي دعوة إلى "مارسيل نايجلان Marcel Naegelan" الوالي العام الذي تولى

[1] نور الدين عسال "القضايا الوطنية في كتابات رضا حوحو"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا الجزائر المجلد الأول، العدد الأول، جانفي 2018، ص: 212.

[2] المرجع نفسه، ص ص 211-212

شؤون الجزائر لمأدبة غداء على شرفه، لكن نايجلان رفض الدعوة لأنّه لا يريد أن يأكل من أيدي الذين يعملون على طرد فرنسا من الجزائر، ممّا جاء في المقال: "... أما البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء... فإنّه مثل مواطنيه الجزائريين الشرفاء، لم يترك لهم المسيوكيلسي وأعوانه ما ينفقونه على إقامة المآدب الفاخرة للوالي العام وإنّ أحسنهم لا يملك في بيته كرسيّا صالحا لجلوس أصحاب السعادة والمعالي ولكنّ لهم شرفا وهمة وشمما تضمحل أمامها قصور الكيلسين الشامخة...وآخر نصيحة أُسديها لك ضمائرهم وجرّدتموهم من كرامتهم لتجعل منه أحاديث شيقة لقراء جريدتك..... [1]

مسألة الحرية عند حوحو:

أن تبحث في قاموس الأعلام عن ابراهيمي آخر بين أولئك الذين سلبتم منهم أبدى حوحو رأيه في مسألة الحريّة الفردية والجماعية التي بات يفتقدها الشعب الجزائري منذ أن خضع للاحتلال، وذلك من خلال كلمته في المؤتمر العالمي للسلام عندما شارك ممثلا للجزائر، ممّا جاء فيها: "... إن الجزائر تريد الحريّة والسّلام لجميع الشعوب، فلا غرابة في أن تريد الحرية والسلام لنفسها، فهي تمد يدها لكل من يريد لها كما يريد لنفسه؛ أن تعيش حرّة آمنة وتموت حرّة آمنة.... فقد كان الهم الأكبر لأحمد حوحو هو أن يجعل مجتمعه قادرا على الاعتماد على أبنائه في المطالبة بالحرية؛ حرية الفرد والمجتمع، وحرية التعبير، ودعا الشباب إلى النهوض بالوطن والرقي به.[2]

تطرق حوحو كذلك لقضية حرية المرأة، ومقارنتها بحريّة الرّجل فكان من خلال قصته "عائشة" قد أعطى صورة سلبية عن نظرة الرّجل الجزائري الدّونية للمرأة بصفة عامة، قائلا: "...عاشت عائشة في محيطها الضيق المظلم، لا تعرف عن العالم الخارجي شيئا، ولا تعرف عن نفسها إلّا أنها عورة، يستحي ذووها من ذكر اسمها وأسماء والدتها وعمتها فهنّ جميعا يكن نوعا خاصا من المخلوقات لم تفهم كنهه... ، ورغم هذه النظرة السلبية للمرأة، إلّا أنّ حوحو وجد أنّ حالها أحسن من حال الرّجل في ظل العبودية الجماعية التي أوجدتها الأقليّة المستعمرة في الجزائر، فالمرأة الجزائرية رغم أنها كانت محرومة من الحريّة مثلها مثل الرّجل إلّا أنّها تفوقت عليه بتمتعها بشيء من هذه الحرية بفضل عدم احتكاكها المباشر بالمستعمر، فهي تتمتّع بنوع من الحريّة في بيتها الضيق وهي السيدة داخله يلفّها الحب والعطف والحنان أمّا الرّجل

[1]- يوسف قنفوذ-محمددراوي ، محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو ابان الحركة الوطنية ، ص276.

[2]-المرجع نفسه ، ص276

فيصفه بالبائس المسكين يعيش في سجن أوسع، وسجانه طاغية خص نفسه بكل النّعم المادية والمعنوية وحرّم عليه كل شيء.[1]

لقد أراد حوحو من خلال إثارة موضوع حريّة المرأة المسلوبة في المجتمع أن يُبرز حرية المجتمع الجزائري المسلوبة بالجملة والحرمان الذي كان يعانيه المجتمع في التعبير والتفكير أيام الاحتلال بسبب القوانين الجائرة المفروضة وما كان يعانيه الجزائريون من ظلم وقهر وحرمان.

تبخّر مشروع ثقافي طموح:

قبل استشهاده برصاص العدوّ ، أعلن الأديب أحمد حوحو في 03 فيفري 1956م بجريدة البصائر عن مشروع ثقافي ضخم وطموح كان ينوي تجسيده تحت عنوان "حاضر الثّقافة والأدب في الجزائر"، هيّأ له الأسباب الكفيلة بإنجاحه ليُنافس به المشاريع الثقافية الكبيرة في البلاد العربية، يقوم هذا المشروع حسبه على نشر سلسلة من الكتب، يحمل كل كتاب منها ترجمة ونماذج لمجموعة من الأدباء والكتاب والشعراء، فقد ذكر أنّ بالجزائر ثقافة وأدباء وشيوخا وشُبّانا، لهم المواهب والأفكار والإنتاج، وأنّ إنتاجاتهم لا يعرفها الجزائريون ولا ينتفعون بها.[2]

ولذلك كان حوحو مستعدًا أن يفتح هذا المشروع، موجها نداءه لكل الجزائريين الذين يهمّهم بعث الحركة الفكرية في البلاد، حيث يذكر أنّه راسل العديد من العلماء والمثقفين من أجل أن يرسلوا له نسخا من مؤلّفاتهم ومخطوطاتهم وترجماتهم، أملا أن يؤدي ذلك إلى التفكير في وسائل الطبع والنشر أيضا، واضعا أمامهم عنوانه الشخصي للمراسلة. ويدعو مثقفي وطنه من شيوخ وشبّان إلى توحيد الجهود من أجل إبراز مكامن الإنتاج الثقافي والأدبي الجزائري، وأنّه ينبغي أن تكون لدى المثقف روافد يبني على أساسها مستقبله، وهذا ما يغيب عند الكثير من أهل الاختصاص ويعكس صورة القابلية للانهزام ولعلّ ذلك ما كان يُنبه له الشهيد أحمد حوحو، فهو بهذا الإعلان عن مشروعه الثقافي أراد أن يُمرّر رسالة إلى كل الأجيال، وكأنه يُحمّلهم أمانة الاهتمام بالثقافة والأدب، بدأ حوحو في جمع المادة

[1]-يوسف قنفوذ، امحمددراوي ، محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو ابان الحركة الوطنية ، ص276.

[2]- المرجع نفسه، ص277.

المتعلقة بالمشروع منذ جانفي 1956م، لكنّ الأجل لم يسعفه، فأستشهد ومات معه مشروعه الطموح، ولو أتيح للمشروع أن يخرج إلى الوجود لأدّى به خدمة كبيرة للثقافة الجزائرية.[1]

وعليه نستنتج البعد النضالي والفكري في مسار أحمد رضا حوحو، حيث عبّر عن مواقف واضحة من الحركة الوطنية، ورفض الانخراط في الأحزاب السياسية بسبب عدم جدواها في ظل الاستعمار، مع تركيزه على جمعية العلماء باعتبارها الإطار الأكثر فاعلية في نشر الوعي والثقافة. كما تعكس كتاباته دفاعه القوي عن قضايا الحرية والكرامة، سواء الحرية الفردية أو الجماعية أو حتى حرية المرأة، بوصفها جزءًا من قضية تحرير المجتمع بأكمله من الاستعمار والجهل. وتُختتم هذه المرحلة بمشروعه الثقافي الطموح الذي لم يكتمل بسبب استشهاده، والذي يعكس وعيه العميق بأهمية حفظ التراث الأدبي وإبراز الإنتاج الثقافي الجزائري.

- **نموذج الإصلاح والبناء في قصة «التلميذ» لرضا حوحو:**

يُعدّ رضا حوحو من أبرز الأدباء الجزائريين الذين جعلوا من الأدب وسيلة للإصلاح الاجتماعي والبناء الفكري، حيث وظّف القصة القصيرة لنقد الواقع من جهة، وتقديم نماذج إيجابية من جهة أخرى، بهدف توعية القارئ ودفعه نحو التغيير الإيجابي.

وتُجسّد قصة «التلميذ» هذا الاتجاه الإصلاحي بوضوح، إذ تقوم على فكرة مركزية مفادها أن العلم والعمل والإرادة هي الأساس الحقيقي لبناء الإنسان والمجتمع، وأن الفقر أو الظروف القاسية لا يمكن أن تكون عائقًا أمام النجاح إذا توفرت العزيمة الصادقة.

تبدأ القصة بتقديم شخصية «دروت» الذي نشأ في بيئة فقيرة جدًا، حيث كان ابن خمار يعيش مع أسرته في حالة من العوز والحاجة. وقد أشار الكاتب إلى هذه الوضعية في قوله: "كان حتما عليه بعد الرجوع من المدرسة أن يقوم بتوزيع الخمر على عملاء أبويه، وأن يساعدهما في بقية الأعمال [2]"، وهو

[1]-يوسف قنفوذ- محمد دراوي ، محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو ابان الحركة الوطنية ، ص277.

[2]أحمد رضا حوحو ، نماذج بشرية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ص65.

مثال واضح يبرز حجم المعاناة التي كان يعيشها الطفل، إذ لم يكن يملك رفاهية التفرغ للدراسة، بل كان مضطرًا إلى العمل الشاق إلى جانب التعليم.

ويُظهر هذا الوضع نقطة انطلاق مهمة في البعد الإصلاحي للقصة، إذ يريد الكاتب أن يبين أن الفقر ليس قدَرًا يمنع الإنسان من النجاح، بل هو تحدٍّ يمكن تجاوزه.

ومن أبرز مظاهر الإصلاح والبناء في النص تمجيد قيمة العمل والاجتهاد، حيث يبرز الكاتب أن التلميذ كان يواصل دراسته رغم الإرهاق اليومي، إذ كان يدرس في الليل على ضوء الموقد بعد يوم طويل من العمل.

وهذا المشهد ليس مجرد تفصيل واقعي، بل يحمل دلالة رمزية عميقة، إذ يرمز "نور الموقد" إلى نور العلم الذي يضيء طريق الفقير نحو المستقبل.

ومن هنا يتضح أن رضا حوحو يريد غرس فكرة أساسية وهي أن العلم يحتاج إلى تضحية وصبر، وليس مجرد ظروف مريحة.

كما تتجلى الفكرة الإصلاحية في إبراز قوة الإرادة كعامل حاسم في النجاح. فقد أكد الكاتب أن التلميذ استطاع تجاوز كل العقبات التي واجهته، حيث قال: " ولكن هذه العقبات وهذه العراقيل لم تستطع أن تعوق هذا الفتى عن النجاح، أو تَثني في طريقه إلى بلوغ المعالي[1]"

ويُعد هذا الاستشهاد من أهم المقاطع الدالة على الرسالة الإصلاحية، لأنه يوضح أن الإنسان إذا امتلك الإرادة يمكنه أن يتغلب على الفقر والظروف الاجتماعية الصعبة، وأن النجاح لا يرتبط بالطبقة الاجتماعية بل بالجد والاجتهاد.

[1]- أحمد رضا حوحو ، نماذج بشرية ،ص65.

ومن جهة أخرى، ينتقد الكاتب النظرة السلبية للمجتمع تجاه الفقراء، وذلك من خلال مشهد المسابقة، حيث دخل التلميذ القاعة وسط سخرية واستهزاء من الحاضرين بسبب مظهره البسيط وثيابه الرثة، إذ " حتى تلقاني الجمع الغفير بعاصفة شديدة من الضحك والسخرية [1]"

ويُظهر هذا المثال أن المجتمع في كثير من الأحيان يحكم على الإنسان من خلال مظهره الخارجي لا من خلال قدراته العقلية والعلمية، وهو ما يعكس خللًا اجتماعيًا يسعى الكاتب إلى إصلاحه.

لكن هذا الموقف السلبي يتحول تدريجيًا إلى إعجاب وتقدير عندما يبدأ التلميذ في الإجابة بثقة ودقة، حيث أدهش اللجنة بمستواه العلمي، حتى قال له أحد المختبرين: " أقدم إليك تهنئتي وإعجابي يا بني"[2].

ويُعد هذا التحول من أهم عناصر البناء في القصة، لأنه يرسخ فكرة أن الكفاءة العلمية هي التي تفرض احترامها في النهاية، وأن المجتمع مهما كان متحيزًا، فإنه يعترف في النهاية بالموهبة الحقيقية.

كما أن نجاح التلميذ في المسابقة يمثل ذروة الرسالة الإصلاحية، إذ لم يكن النجاح مجرد حدث فردي، بل رمزًا لانتصار العلم على الفقر، وانتصار الإرادة على الظروف القاسية. ويتجلى ذلك أيضًا في المشهد النهائي حين تحوّل السخرية إلى احتفاء، حيث حمله الطلبة على الأعناق بعد نجاحه. وهذا المشهد يحمل دلالة رمزية قوية مفادها أن المجتمع يمكن أن يتغير عندما يدرك قيمة العلم والجد.

ومن خلال هذه الأحداث، يمكن القول إن رضا حوحو لا يكتفي بعرض قصة نجاح فردي، بل يقدم مشروعًا فكريًا متكاملًا يقوم على إصلاح المجتمع من الداخل. فهو يدعو إلى:

- احترام العلم وتقدير المتعلمين.
- محاربة الفقر عبر التعليم لا الاستسلام له.
- تجاوز الأحكام المسبقة المبنية على المظهر.

[1]- أحمد رضا حوحو ، نماذج بشرية ، ص66.

[2]-المصدر نفسه ، ص66.

- الإيمان بأن الإرادة تصنع النجاح.

وفي الأخير، يتضح أن قصة «التلميذ» تُعد نموذجًا واضحًا للأدب الإصلاحي والبنائي عند رضا حوحو، لأنها تقدم تصورًا تربويًا يقوم على بناء الإنسان من خلال العلم والعمل، وتؤكد أن المجتمع لا يمكن أن يتقدم إلا إذا آمن بقدرات أفراده المجتهدين، مهما كانت ظروفهم الاجتماعية. ومن هنا فإن الرسالة الأساسية للقصة هي أن الإصلاح الحقيقي يبدأ من الفرد، والبناء الحقيقي يقوم على العلم والإرادة والصبر.

- **قراءة في قصة «حمار الحكيم» لرضا حوحو:**

يُعدّ رضا حوحو من أبرز الأدباء الجزائريين الذين وظّفوا الأدب الساخر توظيفًا فكريًا عميقًا في مواجهة الاستعمار الفرنسي، ليس بوصفه قوة عسكرية فحسب، بل بوصفه منظومة فكرية وثقافية تعمل على تغيير وعي الإنسان وتوجيه سلوكه وقيمه.

ومن هذا المنطلق، جاءت قصة «حمار الحكيم» كعمل رمزي ساخر يكشف عن أخطر أنواع الاستعمار، وهو الاستعمار الثقافي والفكري الذي يسعى إلى طمس الهوية وإضعاف الانتماء عبر التقليد والانبهار بالغرب. لذلك فإن هذا النص يُعد نموذجًا أدبيًا واضحًا في فضح الاستعمار غير المباشر.

تقوم القصة على حوار تخييلي بين الكاتب و«حمار الحكيم»، وهي شخصية رمزية تجمع بين المفارقة والتهكم، حيث يمنح الكاتب للحمار صفات عقلية "مثقفة" تجعله يناقش قضايا اجتماعية وفكرية مثل الزواج والمرأة والاختلاف الثقافي.

وهذه التقنية السردية ليست عبثية، بل هي وسيلة فنية تهدف إلى فضح التناقضات الفكرية التي أحدثها الاستعمار داخل المجتمع، حيث أصبح بعض الأفراد يقلدون الغرب دون وعي أو تفكير نقدي.

نقد الانبهار بالثقافة الغربية بوصفه شكلًا من الاستعمار الثقافي:

يبدأ فضح الاستعمار في النص من خلال طرح فكرة الزواج المختلط بين الشرق والغرب بطريقة ساخرة، حيث يقترح الحمار الزواج من ''أتان أجنبية''، ويقول: " إنك تعرفني أجنبيا في هذه الديار، لا أعرف فيها حمارا ولا أتانا[1] "

هذا المثال يحمل دلالة رمزية واضحة، فالحمار الشرقي يمثل الإنسان المحلي، بينما "الأتان الأجنبية " تمثل الثقافة الغربية، ويكشف هذا الطرح عن ظاهرة اجتماعية خطيرة هي الانبهار بالغرب إلى درجة اعتباره النموذج الأفضل في كل شيء، حتى في العلاقات الإنسانية.

ويعلق الراوي بطريقة ساخرة على هذه الفكرة، مقترحًا أن الزواج من أجنبية هو شكل من "زواج المثقفين"، فيقول: "الشائع في هذه الأيام هو زواج المثقفين بأجنبيات"[2].

وهنا يكشف رضا حوحو عن مفارقة اجتماعية، حيث أصبح التقليد للغرب يُقدَّم على أنه ثقافة وتحضر، بينما هو في الحقيقة شكل من أشكال التبعية، وهذا يمثل جوهر الاستعمار الثقافي الذي لا يُفرض بالقوة، بل عبر الإعجاب والاقتداء.

من أهم محاور النص أن الحمار يناقش فكرة اختلاف العادات والتقاليد بين الشرق والغرب، ويخشى من تأثير الزواج المختلط على الهوية، حيث يقول: "زواجي من أتان أجنبية تخالفني في الجنس والعادات والتفكير فيه خطورة كبيرة على أخلاقي وعاداتي وتفكيري [3]".

هذا المقطع يكشف بوضوح فكرة أساسية، وهي أن الاختلاف الثقافي في ظل الاستعمار لا يُنظر إليه كتنوع، بل كصراع قد يؤدي إلى ذوبان الهوية المحلية.

[1] مأخوذة من موقع http://www.infpe.edu.dz

[2] -http://www.infpe.edu.dz

[3] --http://www.infpe.edu.dz

ويبرز هنا نقد الكاتب لفكرة الفرنسة أو الذوبان الثقافي، حيث يشير ضمنيًا إلى أن الإنسان المستعمر فكريًا يفقد تدريجيًا خصوصيته الثقافية، ويبدأ في تبني قيم الآخر دون وعي

. وهذا ما كان يحدث في المجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي، حيث فُرضت اللغة والثقافة الفرنسية في التعليم والإدارة، مما خلق ازدواجية ثقافية خطيرة.

يعتمد رضا حوحو في هاته القصة على السخرية لإظهار التناقض بين "المثقف الظاهري" و"الوعي الحقيقي" فالحمار، رغم كونه شخصية ساخرة، يناقش قضايا فلسفية واجتماعية معقدة، لكنه في الوقت نفسه يقع في تناقضات فكرية، مما يعكس واقع بعض المثقفين الذين تأثروا بالثقافة الغربية دون امتلاك وعي نقدي حقيقي.

وهنا تظهر المفارقة: فبدل أن يكون "المثقف" واعيًا بهويته، أصبح مجرد ناقل لأفكار دخيلة. وهذا الشكل من النقد يُعدّ من أهم أساليب فضح الاستعمار، لأنه يكشف كيف يتحول الاستعمار إلى ‘‘وعي زائف’’ داخل الفرد نفسه.

من القضايا التي تفضحها هاته القصة أيضًا فكرة التفوق الغربي التي رسخها الاستعمار في عقول الناس، حيث أصبح كل ما هو أجنبي يُعتبر أفضل من المحلي، ويظهر ذلك في الحوار حول الزواج، حيث يُفترض أن الأجنبي يحمل قيمة أعلى أو مكانة مختلفة.

لكن الحمار نفسه يطرح تساؤلات حول هذا التفوق، ويشير إلى خطورة اختلاف العادات والتفكير.

وهنا يكشف رضا حوحو أن الاستعمار لم يكن فقط احتلالًا للأرض، بل احتلالًا للعقل، حيث جعل الإنسان المحلي يشك في ذاته ويُعجب بالآخر دون نقد أو تمحيص.

من أهم الجوانب العميقة في القصة أن الاستعمار يظهر من خلال تغيير المفاهيم الاجتماعية، مثل مفهوم الزواج، الثقافة، والتقدم، فبدل أن يكون الزواج مؤسسة اجتماعية متوازنة، يصبح في الخطاب الساخر رمزًا للتبعية الثقافية. وهذا التحويل في المفاهيم يعكس طريقة عمل الاستعمار الذي لا يغيّر الواقع فقط، بل يغيّر طريقة التفكير في هذا الواقع.

ويظهر ذلك في قول الحمار إن الزواج المختلط قد يؤدي إلى "تبدل الأخلاق والعادات"، وهو ما يعكس خوفًا من فقدان الذات أمام الآخر الأقوى ثقافيًا.

وهذا يعكس رؤية نقدية للاستعمار باعتباره قوة تفرض نفسها عبر الإقناع والإغراء وليس فقط بالقوة العسكرية.

يتميز النص باستخدام أسلوب السخرية والتهكم، حيث يجعل الكاتب حوارًا بين الإنسان وحيوان مفكر، مما يخلق مفارقة قوية بين الشكل والمضمون، هذه السخرية ليست للضحك فقط، بل هي وسيلة لكشف الواقع الاستعماري بشكل غير مباشر.

فمن خلال شخصية الحمار، يفضح الكاتب الواقع الذي جعل بعض الناس ''يتفلسفون'' بطريقة سطحية متأثرين بالثقافة الغربية، دون أن يدركوا خطورة ذلك على هويتهم. وهنا تتحول السخرية إلى سلاح نقدي قوي ضد الاستعمار الثقافي.

لا يقتصر النص على البعد الثقافي فقط، بل يمتد إلى البعد الاجتماعي، حيث يظهر أن الاستعمار أدى إلى اضطراب في العلاقات الاجتماعية والقيم الأسرية، ففكرة الزواج المختلط ليست مجرد اختيار شخصي، بل تحمل خلفيات اجتماعية مرتبطة بالصراع بين الأصالة والتقليد.

ويكشف النص أن المجتمع أصبح يعيش حالة من التذبذب بين احترام الهوية والانجذاب إلى الآخر، وهو ما يعكس أثر الاستعمار العميق في البنية الاجتماعية.

في النهاية، يمكن القول إن رضا حوحو يوجه رسالة واضحة من خلال هذا النص، وهي أن أخطر ما يهدد المجتمع ليس الاحتلال العسكري، بل الاحتلال الفكري الذي يجعل الإنسان يقلد الآخر دون وعي، ويفقد ثقته في ذاته وهويته.

فالحمار " المثقف" ليس مجرد شخصية ساخرة، بل رمز لإنسان فقد توازنه الثقافي، وأصبح يتبنى أفكارًا غير متجذرة في بيئته. ومن هنا تأتي أهمية النص في فضح الاستعمار الثقافي الذي يعمل على إعادة تشكيل وعي الإنسان من الداخل.

تبين من خلال التحليل أن قصة «حمار الحكيم» تمثل نموذجًا أدبيًا قويًا في فضح الاستعمار عند رضا حوحو، حيث اعتمد الكاتب على الرمزية والسخرية والحوار الفلسفي لكشف أخطر أشكال الاستعمار وهو الاستعمار الثقافي، وقد نجح في إبراز كيف يمكن للتقليد الأعمى للغرب أن يؤدي إلى فقدان الهوية، وكيف يتحول التفكير المستورد إلى أداة للهيمنة الفكرية.

وبذلك، فإن القصة لا يهاجم الاستعمار بشكل مباشر، بل يهاجم نتائجه في المجتمع، ويكشف عن ضرورة الوعي بالذات والهوية، باعتبارهما السلاح الحقيقي لمواجهة أي شكل من أشكال الاستعمار.

– أنموذج غادى أم القرى :

يُعدّ كتاب »**غادة أم القرى**«من أهم الأعمال السردية التي قدّمها الأديب الجزائري **أحمد رضا حوحو**، إذ مثّل محطة بارزة في مسار الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية خلال فترة الأربعينيات من القرن العشرين. وقد حظي هذا العمل باهتمام نقدي واسع، ليس فقط لما يحمله من مضامين اجتماعية وفكرية إصلاحية، وإنما أيضًا بسبب الإشكال الأدبي الذي أثاره حول طبيعته الفنية وتصنيفه الأجناسي؛ حيث تباينت آراء النقاد والباحثين بين اعتباره قصة طويلة وبين تصنيفه رواية بالمعنى الفني المتعارف عليه.[1]

وفي هذا السياق، أشار أحمد منور في تقديمه للطبعة الثانية من الكتاب إلى هذا الجدل النقدي، مفضّلًا ترك الحسم النهائي للقراء والدارسين، غير أنّه أكّد أن الاعتراف بـ«غادة أم القرى» كرواية يترتب عليه الإقرار بأن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية قد وُلدت فعليًا منذ أربعينيات القرن العشرين، أي قبل ظهور العديد من الأعمال التي اعتاد النقاد عدّها بدايات للرواية الجزائرية العربية. ومن هذا المنطلق، اكتسب النص أهمية تاريخية خاصة بوصفه أحد أوائل المحاولات السردية التي سعت إلى بناء عالم روائي متكامل يعكس هموم المجتمع وقضاياه.

كما ذهب واسيني الأعرج إلى اعتبار *غادة أم القرى* أول عمل روائي كُتب باللغة العربية في الجزائر، مؤكدًا أن أهمية هذا النص لا تنبع فقط من قيمته الفنية أو من مكانته الريادية في مسار السرد

[1]–ينظر : واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص17.

الجزائري، بل تتجلى أساسًا في كونه وثيقة أدبية وتاريخية تعكس بدايات تشكّل الوعي الإصلاحي والوطني داخل المجتمع الجزائري خلال فترة الاستعمار الفرنسي. فقد جاءت الرواية في سياق تاريخي اتسم بحدة التحولات الاجتماعية والثقافية، وبروز الحركة الإصلاحية التي قادتها النخب الفكرية والدينية آنذاك، الأمر الذي جعلها تتجاوز حدود العمل الأدبي التخييلي لتصبح منبرًا للتعبير عن قضايا المجتمع وهمومه.

ومن خلال معالجتها لقضايا المرأة والتعليم والحرية والوعي الاجتماعي، كشفت الرواية عن اختلالات الواقع الاستعماري وما نتج عنه من مظاهر التخلف والحرمان، داعيةً إلى الإصلاح والتغيير وإعادة بناء الإنسان الجزائري على أسس من العلم والوعي. ورغم أن العمل لا يرقى من الناحية الفنية إلى ما ستبلغه الرواية الجزائرية لاحقًا من تطور في البناء السردي وتعدد التقنيات الفنية، فإنه يظل نصًا تأسيسيًا أسهم في تمهيد الطريق أمام نشأة الرواية الجزائرية العربية، ورسّخ ملامح الخطاب الإصلاحي والوطني الذي سيشكل أحد أبرز مرتكزات الأدب الجزائري الحديث.

ومن ثمّ، فإن قيمة *غادة أم القرى* تكمن في بعدها الريادي والتوثيقي أكثر من اكتمالها الفني، إذ تمثل شهادة أدبية على مرحلة مبكرة من تاريخ الجزائر الثقافي والفكري، وتعكس وعي الكاتب بدور الأدب في خدمة قضايا المجتمع والدفاع عن تطلعاته نحو الحرية والتقدم..[1]

أراد أحمد رضا حوحو من خلال هذا الإهداء أن يلفت الانتباه إلى الواقع المأساوي الذي كانت تعيشه المرأة الجزائرية في ظل التهميش والحرمان من أبسط حقوقها الإنسانية والاجتماعية. وقد جسّد هذه المعاناة فنيًا في شخصية "زكية" التي جاءت نموذجًا للمرأة المكافحة الباحثة عن ذاتها وحريتها في مجتمع تحكمه العادات والتقاليد الصارمة. ولم يكتفِ الكاتب بتصوير المعاناة الخارجية للمرأة، بل تعمّق في أبعادها النفسية والوجدانية، كاشفًا عن مشاعرها وآلامها وتطلعاتها، مما أضفى على الشخصية بعدًا إنسانيًا واضحًا. كما اعتمد حوحو أسلوبًا بسيطًا وسلسًا في السرد، غير أن هذه البساطة لم تكن عفوية، بل كانت اختيارًا فنيًا مقصودًا يهدف إلى إيصال رسالته الإصلاحية إلى أكبر شريحة من القراء. فقد كان واعيًا بالبنية الثقافية والفكرية للمجتمع العربي آنذاك، لذلك حرص على تقديم أفكاره بلغة

[1]- احمد رضا حوحو غادة أم القرى قسنطينة -1-1-1947 ما ورد في الاهداء.

قريبة من المتلقي، تجعل من الرواية وسيلة للتوعية الاجتماعية والدعوة إلى تحرير المرأة وتمكينها من حقها في التعليم والحب والحرية، باعتبارها عنصرًا أساسيًا في نهضة المجتمع وتقدمه.[1]) .

وفي موضع آخر وُصفت رواية *غادة أم القرى* بأنها رواية إصلاحية بامتياز، وذلك لما تضمنته من معالجة واعية للقضايا الاجتماعية التي كانت تشغل المجتمع العربي والجزائري في تلك الفترة. فقد ركز أحمد رضا حوحو على مشكلات الأسرة والعلاقات الإنسانية داخلها، ولاسيما العلاقة بين الرجل والمرأة في ظل هيمنة الأعراف والتقاليد الاجتماعية الموروثة. ومن خلال هذه المعالجة سعى الكاتب إلى الكشف عن مظاهر الظلم والقيود التي كانت تكبل المرأة وتحول دون تمتعها بحقوقها الطبيعية في التعليم والاختيار والحرية.

ويتجلى هذا البعد الاجتماعي بوضوح في شخصية "زكية"، التي تمثل نموذجًا للمرأة التي تعاني من تسلط المجتمع وخضوعها لقيم تقليدية لا تراعي رغباتها الإنسانية ولا تطلعاتها الفكرية. فزكية ليست مجرد شخصية روائية، بل هي رمز لشريحة واسعة من النساء اللواتي وجدن أنفسهن أسيرات لعادات اجتماعية صارمة حالت دون تحقيق ذواتهن. ومن خلال عرض معاناتها وصراعها النفسي والاجتماعي، وجّه حوحو نقدًا ضمنيًا للبنية الاجتماعية التقليدية، داعيًا إلى مراجعة تلك القيم والأعراف بما ينسجم مع مبادئ العدالة والحرية والتقدم. وهكذا تجاوزت الرواية حدود الحكاية العاطفية لتصبح خطابًا إصلاحيًا يهدف إلى إحداث الوعي الاجتماعي والدفع نحو تغيير واقع المرأة والأسرة في المجتمع.[2]) . أي أن الرواية في ذاتها وموضوعها تحمل رسالة إصلاحية وتربوية هادفة للمجتمع عامة وللأسرة خاصة.

ومن خلال ما سبق، يمكن استنتاج أن رواية *غادة أم القرى* لأحمد رضا حوحو لم تكن مجرد عمل سردي يعالج أوضاع المرأة في مكة كما يوحي عنوانها، بل تجاوزت ذلك لتكون مرآة تعكس واقع المرأة الجزائرية وما تعانيه من قيود اجتماعية وحرمان في ظل مجتمع تحكمه الأعراف والتقاليد الصارمة. فقد وظّف الكاتب شخصية "زكية" لتجسيد معاناة المرأة العربية عمومًا والجزائرية خصوصًا، كاشفًا عن حرمانها من

[1]- دوال بومعزة: قصايا السرد وابعاده في الاعمال الأدبية، للكاتب احمد رضا حوحو، ص 323.

[2]- عثمان رواق محطة رئيسية في مسار الرواية العربية الجزائرية ech-chaab.com الاحد 28 جانفي 2024. السبت 02 مارس 2024 9:54

حقوقها الأساسية في التعليم والحب والحرية واختيار مصيرها. كما حملت الرواية رؤية إصلاحية واضحة تجلت في نقد الممارسات الاجتماعية السائدة والدعوة إلى إعادة النظر في مكانة المرأة داخل الأسرة والمجتمع. ومن خلال هذا الطرح، لم يكن حوحو يسعى إلى سرد قصة فردية فحسب، بل إلى إثارة الوعي بقضايا المرأة وإبراز دورها المحوري في عملية الإصلاح الاجتماعي. لذلك يمكن اعتبار الرواية خطابًا إصلاحيًا وتنويريًا يجمع بين البعد الأدبي والبعد الفكري، ويعكس وعي الكاتب بأهمية النهوض بالمرأة بوصفها ركيزة أساسية في بناء مجتمع متقدم وقادر على مواجهة مختلف التحديات الاجتماعية والثقافية.

أسلوب الكتابة القصصية عند أحمد رضا حوحو:

يتميّز أسلوب أحمد رضا حوحو بعدّة خصائص جميلة، فقد كانت قصصه ممتعة ومشوّقة، مليئة بالخيال والإبداع. كما عُرف بجرأته في نقد المشكلات التي كانت موجودة في الجزائر في زمنه، واعتمد في كتاباته على أسلوب بسيط وخفيف فيه سخرية ودعابة تحمل معاني عميقة وتهكّمًا لطيفًا."[1]

كما ظهرت موهبة أحمد رضا حوحو الأدبية وقدرته الفنية في قصته «غادة أم القرى»، التي تُعد أول عمل قصصي له، حيث صوّر فيها فتاة تعيش صراعًا بين مشاعرها الشخصية وطاعة أهلها، وبين رغبتها في الحرية والتقيّد بالعادات والتقاليد. ومن أبرز ما يلفت الانتباه في أدبه أسلوبه:

– السخرية:

و هي مصدر للضحك والفكاهة و هي فن قائم بذاته، و بهذا جعل من السخرية سمته البارزة في الكتابة و العمل الإبداعي، حتى و إن تعلق الأمر بأخطر المواضيع التي طرفها سياسية كانت أو دينية أو اجتماعية، لكونه وظفها لمعالجة : بعض القضايا من خلال كتاباته و قول ما يريد عبرها "[2]

و بالتالي قد أخذ من السخرية محوراً لأي عمل أدبي لما لها من دور فتي، فزيادة عن المتعة الـ تضفيها فهي تعد من أرقى أشكال التعبير الأدبي لأنها تستند لانتقاد الأوضاع و التقاليد السائدة.

[1]–المالك مرتاض نهضة الأدب المعاصر في الجزائر، 1955م–1985م، الشركة الوطنية الجزائر، ط2، 1985م، ص164.

[2]– الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري الحديث، لان الحكمة، الجزائر، 2009م، ص51.

و ليس غريباً أن يعمد حوحو إلى هذا الأسلوب من الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري الذي تسوده تقاليد معينة في امرأة ورجال الدين و استخدام وسائل الحضارة و تحكمه سياسة معينة.[1] و الهدف من هذا التوظيف هو الابتعاد عن الأسلوب المباشر في الطرح من اجل أن يحمي الكاتب نفسه من التهجم عليه من قبل المجتمع، و تجنب سخط أفراده.

و من خلال اطلاعنا على نص "غادة أم القرى" أثبت لنا أن النص يتجلى في بعض العادات والتقاليد التي الجحف المرء حقه، هذه العادات فرضت على ركبة كتما مشاعرها اتجاه جميل صادق، و عدم التفكير في مجرد التلفظ باسمه، لأن أهلها لم يعهدوا مثل هذه السلوكيات و يظهر هذا في قول الكاتب "هذه هي حالة الفتاة المكية التي كانت تتمثل في زكية بصورة مكبرة، فإنها تحبه حباً عنيفاً طاغياً يفوق في نظرها حب أي فتاة أخرى، و خاضعة في الوقت نفسه لتقاليد شديدة تقاليد الأسر القديمة يجب عليها اتباعها و الخضوع لتعاليمها ... و هكذا أصبحت نهباً للألام و الأحزان"[2]

الإصلاح

ظهر هذا الأدب في ثلاثينات القرن العشرين على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و التي كانت تهدف إلى إحياء المقومات الأصلية للشخصية، و هو تعبير عن ظاهرة أو موقف، حيث يتميز بالمحافظة على الموروث الثقافي "ولا يستثنى من هذا التوجه إلا فئة قليلة، في مقدمتهم أحمد رضا حوحو الذي سعى إلى محاولة التجديد [3]) وقصة غادة أم القرى خير دليل لإصلاح المجتمع، حيث أراد من خلال القصة القضاء على العادات و التقاليد التي تسلب أفراد المجتمع حقوقهم، مثلما جرى مع زكية و التمعن في القصة يكشف محاولات محو تلك العادات و الأعراف الفاسدة اعتبرت المرأة لعنة أبدية تحت واقع كبله الجهل و الخرافة.

- **الثورة في الكتاب**

[1]- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط5، 2007 ، ص92.

[2]- احمد رضا حوحو غادة ام القرى،الأنيس السلسلة الأدبية ، اشراف محمد بلقايد ، عن وزارة الثقافة ، ط1 ، 2009، ص18.

[3]-**عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب المعاصر الجزائر، مرجع سابق، ص 147.**

يُعدّ أحمد رضا حوحو من الأدباء الجزائريين الذين حملت كتاباتهم أبعادًا وطنية وإصلاحية، إذ عبّر من خلال رواية "غادة أم القرى" عن واقع المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، ودعا إلى التمسك بالهوية الوطنية والوعي بضرورة النهوض بالأمة.

ويتجلى ذلك في قوله: "حين يحمل على عاتقه هذا الواجب المقدس"[1]، حيث يدل هذا الاستشهاد على أن الكاتب يرى خدمة الوطن مسؤولية عظيمة تقع على عاتق أبناء الجزائر، كما أن وصفه للواجب بـ"المقدس" يكشف عن عمق الانتماء الوطني وإحساسه بأهمية الدفاع عن الأمة وقيمها.

وتظهر النزعة الوطنية أيضًا في قوله: «إلى مواطن المجد ونواحي الألم»، إذ جمع الكاتب بين «المجد» و«الألم» ليصوّر حال الجزائر؛ فهي وطن عريق ذو تاريخ مجيد، لكنه يعيش في الوقت نفسه معاناة الاستعمار وآثاره القاسية.

ورواية التي بيد أيدينا نصًا أدبيًا ذا بعد نقدي واضح، إذ لا يكتفي بسرد الأحداث، بل يتجاوز ذلك إلى مساءلة الواقع الاجتماعي وكشف اختلالاته، خاصة ما يتعلق بالعدالة والوعي الجمعي وصورة الفرد داخل المجتمع. ومن خلال المقطع المدروس تتجلى بوضوح ثيمات الثورة، والوطن، والتحرر باعتبارها قضايا مترابطة تعكس رؤية الكاتب الإصلاحية.

يتجلى البعد الثوري في الرواية من خلال رفض الظلم وإدانة الاتهام الباطل الذي طال شخصية جميل، حيث يُقدَّم في النص بوصفه ضحية لواقع غير عادل.

يقول السارد"مرت عشرون يوما على جميل في سجنه عانى فيها أشد الألم والحزن، وناهيك بألم المظلوم الذي يدفع حساب ذنب لم يقترفه، ويسجن عقابا على فعلة لم يرتكبها" [2]يبرز هذا القول حجم المعاناة التي يعيشها الفرد حين يُدان دون دليل، مما يكشف اختلال ميزان العدالة داخل المجتمع.

[1]- أحمد رضا حوحو ، غادى أن القرى ، ص9.

[2]المرجع نفسه ، ص47.

كما أن هذا الوضع يولّد شعورًا بالرفض الداخلي لهذا القهر، وهو ما يمكن اعتباره شكلًا من أشكال الثورة الفكرية والإنسانية، حيث تتحول معاناة الفرد إلى إدانة ضمنية للنظام الاجتماعي القائم، وإلى دعوة غير مباشرة لإعادة النظر في أسس الحكم على الناس.

وفي سياق آخر، يقدم النص صورة عن المجتمع داخل ‘‘أم القرى’’ بوصفه فضاءً اجتماعيًا تتشكل فيه الأحكام بسرعة وتنتشر فيه الشائعات دون تحقق، مما يعكس طبيعة ‘‘الوطن’’ كحيز اجتماعي أكثر منه مجرد مكان جغرافي.

يقول الكاتب في كتابه : "شاعت في جميع أنحاء أم القرى مأساة جميل صادق وإدانته بتهمة السكر، وكانت مسألته حديث العام والخاص" [1]يدل هذا المقطع على أن الخبر يصبح ملكًا عامًا يتداوله الجميع دون تمحيص، وهو ما يكشف ضعف الوعي الجماعي وهيمنة التسرع في إصدار الأحكام. وهكذا يقدم رضا حوحو نقدًا ضمنيًا لبنية المجتمع، حيث يختلط فيه الحق بالباطل، وتتشكل صورة الفرد بناءً على الانطباع لا على الحقيقة، مما يعكس خللًا في إدراك مفهوم العدالة داخل الوطن.

كما يتعمق النص في إبراز المعاناة النفسية والاجتماعية الناتجة عن هذا الظلم، حيث تتجاوز الأذى المادي إلى أذى معنوي أشد قسوة، يقول السارد"يا لها من فضيحة... فضيحة الفاضل... ويا لها من عقوبة... عقوبة البريء"[2]يعكس هذا القول حجم الانكسار النفسي الذي يصيب الفرد حين يُتهم ظلمًا، إذ تصبح الفضيحة الاجتماعية جزءًا من العقوبة، بل أشد تأثيرًا من السجن نفسه. وهنا تتجلى فكرة التحرر بوصفها حاجة إنسانية ملحة، لا تقتصر على تحرير الجسد من القيود، بل تشمل تحرير الإنسان من الوصم الاجتماعي ومن الأحكام الجاهزة التي تسلبه كرامته.

فالرواية تلمح إلى أن الحرية الحقيقية تبدأ حين يُنصف الفرد وتُصان صورته داخل مجتمعه.

ويتأكد هذا البعد التحرري أيضًا من خلال إبراز أثر الظلم على باقي الشخصيات، حيث لا يقتصر الألم على جميل وحده، بل يمتد ليشمل أسرته ومحيطه، مما يوضح أن الظلم في المجتمع لا يكون فرديًا بل

[1]أحمد رضا حوحو ، غادة أم القرى ،ص41.

[2] المرجع نفسه ، ص48.

جماعيًا. فكلما اهتزت العدالة، اهتزت معها العلاقات الإنسانية، وتفككت الروابط الاجتماعية. ومن هنا تصبح الدعوة إلى التحرر دعوة إلى إصلاح شامل يعيد التوازن للمجتمع ويؤسس لوعي جديد يقوم على الحقيقة والإنصاف بدل الشائعة والانطباع.

ويتعمق البعد الثوري أكثر من خلال مشهد المواجهة داخل الأسرة، حيث تروي زكية خبر موت جميل بقولها: "**قتلوه ... قتلتموه**"[1]هذا الصراخ لا يعكس فقط انهيارًا نفسيًا، بل يمثل شكلًا من أشكال الثورة العاطفية ضد الواقع المؤلم، إذ تتحول الفتاة من حالة هدوء إلى انفجار نفسي نتيجة الصدمة. فالمعاناة هنا ليست جسدية فقط، بل نفسية عميقة، تكشف كيف يؤدي الظلم إلى تدمير الإنسان من الداخل، وهو ما يجعل النص يحمل موقفًا احتجاجيًا ضد القهر الاجتماعي.

وكذلك نجده يقول في مقدمة الكتاب: "ويشعر بحرارة إحساس الوطن"[2]، ويعكس هذا الاستشهاد عمق العلاقة العاطفية التي تربط احمد رضا حوحو بوطنه، حيث يجعل الكاتب من الوطن إحساسًا حيًا ينبض داخل النفس.

فاستعمال كلمة "حرارة" يوحي بقوة المشاعر وصدق الانتماء، وكأن حب الوطن شعور متقد لا يمكن إخفاؤه أو تجاهله.

كما يدل هذا التعبير على أن الوعي الوطني ليس مجرد فكرة عقلية، بل هو إحساس وجداني يدفع الإنسان إلى التعلق بوطنه والدفاع عنه، ومن خلال هذا التصوير يبرز الكاتب أهمية الإحساس الوطني في بناء الشخصية الواعية والمساهمة في نهضة المجتمع.

يتجلى في مقطع آخر بعد فكري وثوري واضح، حيث يؤكد حوحو على دور الأدب والكتابة في كشف الواقع ونقده، إذ يقول"وهذا لا يستقيم لنا بغير رجال القصص وحملة الأقلام" [3]يدل هذا القول

[1]أحمدرضا حوحو، غادة أم القرى، ص59.

[2]-المرجع نفسه ، ص9

[3]- المرجع نفسه ، ص8

على أن التغيير والإصلاح لا يتحققان إلا بوجود الكتّاب والأدباء الذين يمتلكون القدرة على فضح مظاهر الفساد داخل المجتمع.

كما يضيف الكاتب " فهؤلاء وحدهم يستطيعون بمواهبهم السامية وعقولهم الجبارة انتزاع صور لما ينخر في دعائم بنيات وطننا المقدس"[1]، وهو ما يعكس وظيفة الأدب بوصفه أداة نقدية تكشف اختلالات الوطن وتصورها بصدق وجرأة.

فالوطن هنا لا يُقدَّم كفضاء مثالي، بل كواقع يحتاج إلى إصلاح وكشف، مما يجعل الكتابة فعلًا ثوريًا يهدف إلى التوعية والتغيير.

ويبرز كذلك البعد التحرري في القول"ثم عرضها عرضًا فنيًا بعيدًا عن كل تأثير كاذب من شأنه أن يخدر أعصابنا ويضاعف غرورنا"[2] حيث يدعو حوحو إلى تقديم الحقيقة كما هي دون تزييف أو تزيين. وهذا يعكس رؤية إصلاحية تعتبر أن التحرر يبدأ من الوعي، وأن المجتمع لا يمكن أن يتطور إلا إذا واجه واقعه بصدق.

ومن هنا تصبح الكتابة وسيلة لتحرير العقول من الخداع والجمود، مما يمنح الأدب دورًا ثوريًا في بناء الوعي الجماعي.

خلاصة:

خلص هذا الفصل إلى أنّ أحمد رضا حوحو استطاع أن يجعل من الأدب وسيلة للنضال الفكري والإصلاح الاجتماعي، حيث عبّر في كتاباته عن واقع المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، وكشف عن مختلف أشكال القهر والحرمان التي كان يعيشها الإنسان الجزائري. وقد برز ذلك من خلال معالجته لقضايا الحرية والعدالة والهوية، إضافة إلى دعوته المستمرة إلى الإصلاح وبناء مجتمع قائم على العلم والوعي.

[1]- أحمدرضا حوحو، غادة أم القرى، ص8.

[2]- المرجع نفسه ، ص8.

كما أظهرت الدراسة أن قصصه، مثل «التلميذ» و«حمار الحكيم»، حملت أبعادًا إصلاحية وثورية واضحة؛ ففي قصة «التلميذ» أبرز قيمة العلم والإرادة في مواجهة الفقر والتهميش، بينما كشف في «حمار الحكيم» عن خطورة الاستعمار الثقافي والانبهار الأعمى بالغرب، معتمدًا على السخرية والرمزية في نقد الواقع الاجتماعي والفكري.

أما رواية «غادة أم القرى» فقد مثّلت نموذجًا للأدب الإصلاحي الذي يدافع عن المرأة ويكشف معاناتها داخل مجتمع تحكمه العادات والتقاليد الصارمة، كما حملت الرواية أبعادًا وطنية وثورية من خلال نقد الظلم الاجتماعي والدعوة إلى التحرر والوعي. وقد اتضح أن حوحو لم يكن يكتب من أجل المتعة الفنية فقط، بل كان يحمل رسالة فكرية وإنسانية تهدف إلى توعية المجتمع والدفع به نحو التغيير.

وبذلك يمكن القول إن تجربة أحمد رضا حوحو الأدبية تُعد من التجارب الرائدة في الأدب الجزائري الحديث، لأنها جمعت بين الفن والالتزام، وبين الإبداع والنضال، وأسهمت في ترسيخ الوعي الوطني والإصلاحي في مرحلة تاريخية حساسة من تاريخ الجزائر.

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث،أظهرت هذه الدراسة أن الأدب الجزائري الحديث ارتبط ارتباطًا وثيقًا بقضايا المجتمع والوطن، حيث استخدمه الأدباء وسيلةً للتعبير عن معاناة الشعب الجزائري والدعوة إلى الحرية والتحرّر. وكشفت الدراسة عن الطابع الإصلاحي والنضالي في كتابات أحمد رضا حوحو، إذ وظّف الأدب لخدمة القضايا الوطنية والاجتماعية مستندًا إلى أساليب فنية متنوعة تعكس وعيه الفكري والثقافي.

ومن خلال تحليل النماذج المختارة، توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيص أبرزها فيما يلي:

ـ كشفت الدراسة عن وجود علاقة وثيقة بين الأدب والثورة، إذ أسهم الأدب في إيقاظ الوعي الوطني والتحريض على المقاومة وترسيخ روح النضال.

ـ أثبت الأدب الجزائري حضوره القوي خلال الثورة التحريرية، حيث عبّر الشعراء والكتاب عن تضحيات الشعب الجزائري وبطولاته ضد الاستعمار الفرنسي.

ـ تبيّن أن الأدب التحرري تجلّى في عدة أجناس أدبية، من أبرزها: الرواية، والقصة، والشعر الشعبي، والمسرح.

ـ كشفت الرواية الجزائرية، خاصة أعمال محمد ديب عن معاناة الشعب الجزائري وصور المقاومة والثورة، من خلال توظيف البعد الواقعي والاجتماعي والسياسي.

ـ أبرزت القصة الجزائرية دورها في نقل القيم الوطنية وتجسيد صمود الشعب الجزائري، مع توظيف أساليب فنية متنوعة لخدمة القضية التحررية.

ـ ساهم الشعر الثوري والشعبي في نشر الوعي الوطني والقومي، كما مثّل وسيلة فعالة للتعبير عن آلام الشعوب وآمالها في التحرر.

ـبيّنت الدراسة أن الأبعاد الموضوعاتية في الأدب التحرري تنوعت بين البعد الوطني والقومي والديني والتاريخي والإنساني، وهو ما منح الأدب الثوري عمقًا فكريًا وفنيًا.

ـ اتضح أن الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو قد استطاع أن يجعل من الأدب وسيلة للإصلاح والتوعية ومقاومة الاستعمار، حيث ارتبط إنتاجه الفكري والأدبي بقضايا المجتمع الجزائري ومعاناته تحت الاحتلال الفرنسي.

ـ خلال دراسة نماذج من أدبه القصصي، تبيّن أن حوحو لم يكن مجرد أديب يصف الواقع، بل كان صاحب مشروع إصلاحي متكامل، سعى إلى غرس قيم العلم والعمل والإرادة في نفوس الشباب، والدعوة إلى تجاوز الفقر والجهل عبر التعليم والاجتهاد، كما ظهر ذلك في قصة "التلميذ". وفي المقابل، كشف بأسلوب ساخر ورمزي في قصة "حمار الحكيم"عن خطورة الاستعمار الثقافي وآثاره الفكرية والاجتماعية، محذرًا من التقليد الأعمى للغرب وما ينتج عنه من فقدان للهوية والانتماء.
ـ عبّرت أعمال رضا حوحو الأدبية عن ارتباط قوي بالهوية العربية الإسلامية والدفاع عنها،حيث اعتمد على السخرية والرمزية كوسائل فنية لفضح الواقع الاستعماري.
ـ جمع حوحو بين الأدب والصحافة والمسرح في إطار رسالة إصلاحية ووطنية هادفة.

ـ كشفت الدراسة التطبيقية للمجموعة القصصية عند أحمد رضا حوحو عن خصائصه الأدبية والأسلوبية، حيث تميز أسلوبه بالبساطة والواقعية والسخرية الهادفة، مع توظيف الرمز والحوار في معالجة القضايا الاجتماعية والفكرية. كما برز اهتمامه بقضية الحرية بوصفها أساسًا لتحرر الإنسان والمجتمع، سواء تعلق الأمر بحرية الفكر أو حرية الوطن أو حرية المرأة.

ـ عكست رواية "غدة أم القرى" اهتمام الكاتب بقضايا النزوح والحرية والتحرر الاجتماعي، خاصة ما تعلق بمكانة المرأة وحقها في التعليم والحياة الكريمة، وهو ما يدل على اتساع رؤيته الإصلاحية والإنسانية.

وفي ضوء النتائج المتوصل إليها، يمكن اقتراح جملة من التوصيات والآفاق البحثية التي من شأنها تعميق دراسة الثورة والتحرر في الأدب الجزائري الحديث: قراءة موضوعاتية في مسار أحمد رضا حوحو، من أبرزها:

ـ توسيع الدراسة إلى مجموعة حوحو القصصية كاملة (مثل: صدرٌ للنحل، مع حمار الحكيم، صاحبة الوحي، غادة أمّ القرى) لتحليل الانتقال من الخطاب الإصلاحي إلى الخطاب الثوري.

ـ دراسة التحول التاريخي في خطاب الثورة في الأدب الجزائري: من إصلاح محمدي – قسنطيني إلى حركة التحرّر الوطني، وتحديد مكانة حوحو في هذه الانتقالية.

ـ تحليل الاستعمار الثقافي في نصوص حوحو: كيف يربط بين الجهل، والانقياد، والانحطاط الأخلاقي من جهة، وبين مشروع التّحرر السياسي من جهة أخرى.

ـ إجراء دراسات استقبال لنصوص حوحو (خاصة نماذج بشرية) لدى الجيل الحالي: من خلال استبيانات، ومقابلات مع طلبة، لقياس مدى إحساس القارئ بالثورة والتحرر في النصوص.

قائمة المصادر والمراجع

المعاجم والموسوعات

- إعداد نخبة من الأساتذة، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975 .
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة .
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي .
- ابن منظور، لسان العرب .

الكتب

- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط1، 2003 .
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د.ت .
- ابن فارس، أحمد بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1979 .
- إبراهيم خليل، مقاربات في نظرية الأدب ونظرية اللغة، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، د.ت .
- إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، الجزائر، ط1، 1985 .
- أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1946 .
- أحمد دوغان، في الأدب الجزائري الحديث، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996 .
- أحمد شنة، طواحين العبث، مؤسسة هذيل، مطبعة هومة، الجزائر، ط1، 2000 .
- أحمد فؤاد نجم، الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2009 .
- أحمد مطلوب، الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2014 .
- أحمد منور، مسرح الفرجة والنضال في الجزائر: دراسة في أعمال أحمد رضا حوحو، دار هومة، الجزائر، ط1، 2005 .
- أبو العيد دودو، بحيرة الزيتون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1984 .

- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .
- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007 .
- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط2، 2005 .
- بسام العملي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، 1989 .
- بلقاسم بن عبد الله، الأدب الجزائري وملحمة الثورة، منشورات الحضارة، الجزائر، ط2، 2013 .
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984 .
- حسن عبد الله القرشي، نداء الدماء، دار الآداب، بيروت، 1964 .
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، دار المعارف، ط2، د.ت .
- صالح خرفي، أحمد رضا حوحو في الحجاز(1946-1934) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992 .
- طه حسين، النقد، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985 .
- عبد الله خليفة الركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط1، 1978 .
- عبد الله خليفة الركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، 1982 .
- عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991 .
- عبد الوهاب خالد، القيم الإنسانية في شعر الثورة الجزائرية، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، قسنطينة، 2003 .
- عثمان سعدي، تحت الجسر المعلق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1980 .
- عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، 1997 .
- عمر بوقرورة، دراسات في الشعر الجزائري المعاصر، دار الهدى، الجزائر، 2004 .

- محمد العيد آل خليفة، الديوان، موفم للنشر، الجزائر، 2010 .
- محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم المخطوطة والمطبوعة، ج1، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 .
- محمد الطمار، مع شعراء المدرسة الحرة بالجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005 .
- محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة سامي الدروبي، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت، 1985 .
- محمد ديب، الحريق، ترجمة سامي الدروبي، روايات الهلال .
- محمد الصالح رمضان، شخصيات ثقافية جزائرية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007 .
- محمد عبد المعطي حجازي، الديوان، دار العودة، بيروت، ط3، 1982 .
- محمد مصطفى الأشرف، الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 .
- مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1987 .
- مفدي زكرياء، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007 .
- ميخائيل نعيمة، دروب، دار صادر، بيروت، 1968 .
- ناصر معماش، اعتراف أخير، دار هومة، الجزائر، ط1، 2001 .
- هاني شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، مصر، 1970 .
- واس بري، شعر مفدي زكريا: دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر .
- يوسف وغليسي، تغريبة جعفر الطيار، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، ط1، 2000 .
- زهور ونيسي، على الشاطئ الآخر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1974 .
- سليمان جوادي، نصوص الطوفان، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، ط1، 2001 .

- عبد الغاني خشة، ويبقى العالم أسئلة، اتحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة، الجزائر، ط1، 2003 .
- أحمد رضا حوحو، غادة أم القرى، الأنيس، السلسلة الأدبية، إشراف محمد بلقايد، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2009 .
- أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

الرسائل الجامعية والأطروحات

- أُسامة حوحو، الأستاذ أحمد رضا حوحو حياته وآثاره (1910-1956): دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2005-2006 .
- حبيب دحو نعيمة، شعرية الخطاب الثوري عند محمد بلقاسم خمار، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2012-2013 .
- حمزة بوزيد، إكرام بونوة، تجليات الأدب التحرري في شعر الثورة: مفدي زكريا أنموذجا، مذكرة ماستر، جامعة ابن خلدون تيارت، 2022-2023 .
- سليماني حنان، الثورة في الأدب الجزائري الحديث: الشعر أنموذجا، دراسة موضوعاتية فنية، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2018-2019 .

المقالات والدوريات العلمية

- أمنة عشاب، «صورة الثورة الجزائرية في الخطاب الروائي الجزائري: ثلاثية محمد ديب أنموذجا«، مجلة أفانين الخطاب، مج1، ع2، 2021 .
- أورية عبود، «ثورة نوفمبر المجيدة وبعدها الإنساني في شعر صالح خرفي«، مجلة رفوف، مج6، ع2، 2018 .
- حواس/هجرسي خضراء، جويبة عبد الكامل، «استلهام الثورة الجزائرية في الشعر العربي (القيم والأبعاد)«، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مج9، ع2، 2020 .
- الحسين عزة، «معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة ودوره في نشر التعليم العربي «(1947-1957)، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، العدد الأول، 2020 .

- سعدوني نادية، «دور الأدب في تأجيج الثورة الجزائرية«، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مج4، ع9، 2021 .
- سعاد حميدة، «دلالات الوعي في الخطاب الشعري الشعبي عند أحمد فؤاد نجم«، مجلة سيميائيات، مج8، ع2، 2019 .
- غنية غرابي، «صدى الثورة التحريرية في الشعر العربي الحديث«، حوليات الآداب واللغات، مج5، ع12، 2018 .
- كبريت علي، «أدب الثورة الجزائرية: أطروحة في المنهج ومقاربة في المحتوى«، مجلة المصادر، مج16، ع29، 2017 .
- محمد زكور، «الأبعاد الحضارية للثورة التحريرية وأثرها في الشعر المغاربي«، مجلة المعيار، ع4، 2003 .
- محمد العربي الزبيري، «الغزو الثقافي في الجزائر 1962-1982«، مجلة الرؤيا، ع2 .
- نور الدين عسال، «القضايا الوطنية في كتابات رضا حوحو«، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج1، ع1، 2018 .
- يوسف قنفوذ، محمد دراوي، محطات من المسار النضالي للأديب الشهيد أحمد رضا حوحو إبان الحركة الوطنية.

الجرائد والمجلات الثقافية

- أحمد رضا حوحو، «مع بوشكين«، البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، العدد 218، 20 فيفري 1953 .
- أحمد السراج، «ثورة الجزائر«، جريدة العلم، العدد 2706، 1957 .

المصادر الإلكترونية

- موقع المعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم: INFPE الجزائر

فهرس

البسملة	
شكر وتقدير	
اهداء	
مقدمة	أ-ج
الفصل الأول :إرهاصات الأدب التحرري في شعر الثورة	
تمهيد	05
الأدب لغة واصطلاحا	06
الثورة لغة واصطلاحا	08
علاقة الأدب بالثورة	11
محاور اهتمام الأدب التحرري في الثورة	18
المرتكزات الموضوعاتية للأدب التحرري	26
خلاصة	34
الفصل الثاني : صدى الثورة التحررية الجزائرية	
تمهيد	36
البعد الحضاري للثورة الجزائرية ومواجهة الاستعمار	37
الشعر كأداة نضال وتوثيق في الثورة الجزائرية	42
تجليات الوعي الثوري في الشعر الجزائري الحديث	46
خلاصة	57
الفصل الثالث : دراسة تطبيقية (الثورة والتحرر في كتابات أحمد رضا حوحو)	
تمهيد	59
أحمد رضا حوحو الأدبية / الأسلوبية/ مؤلفاته	60
المسار النضالي لدى الأديب	64
الحرية	65

أنموذج الإصلاح والبناء	67
قراءة في قصة الحمار الحكيم	70
أنموذج غادة أم القرى	74
التعريف بالكتاب	74
أسلوب الكاتب	77
الثورة في الكتاب	79
خلاصة	83
خاتمة	85
قائمة المصادر والمراجع	89
فهرس	95
ملخص	98

ملخص

ملخص

تناولت المذكرة مظاهر الأدب التحرري في الأدب الجزائري وعلاقته الوثيقة بالثورة التحريرية، مبرزةً الدور الذي أدّاه الأدب في إيقاظ الوعي الوطني وترسيخ قيم المقاومة والحرية. وقد بيّنت الدراسة أن الأدب التحرري تجلّى في عدة أجناس أدبية، منها الشعر والرواية والقصة والمسرح، حيث عبّر الأدباء عن معاناة الشعب الجزائري تحت الاستعمار وصوّروا بطولاته وتضحياته. كما كشفت أن الرواية والقصة أسهمتا في نقل القيم الوطنية وتجسيد روح النضال، بينما لعب الشعر الثوري والشعبي دورًا بارزًا في التعبئة الوطنية والدعوة إلى التحرر. وتوصلت الدراسة كذلك إلى أن الأديب الشهيد أحمد رضا حوحو جعل من الأدب وسيلة للإصلاح الاجتماعي ومقاومة الاستعمار، موظفًا أساليب فنية متنوعة للدفاع عن الهوية الوطنية وغرس قيم العلم والحرية والوعي، مما جعله من أبرز رواد الأدب الجزائري الحديث الذين جمعوا بين الإبداع الفني والالتزام الوطني

This thesis examines the manifestations of liberationliterature in Algerian literature and its close relationshipwith the Algerian War of Independence, highlighting the role of literature in awakening national consciousness and promoting the values of resistance and freedom. The study shows thatliberationliteraturewasexpressedthroughvariousliterary genres, includingpoetry, novels, short stories, and drama, throughwhichwritersportrayed the suffering of the Algerian people under colonial rule and celebratedtheirheroism and sacrifices. It alsodemonstratesthatnovels and short stories contributed to conveying national values and embodying the spirit of struggle, whilerevolutionary and popularpoetryplayed a

significantrolein mobilizing public awareness and advocatingliberation. Furthermore, the studyconcludesthat the martyr-writer Ahmed رضاHuhu made literature a means of social reform and resistance to colonialism, employing diverse artistic techniques to defend national identity and promote the values of education, freedom, and awareness. This made him one of the leading figures of modern Algerian literature, successfullycombiningartisticcreativitywith national commitment.